

مَلَفُ الْكِتَابِ وَالْعِتْرَةِ

لِسَمَاحَةِ الشَّيْخِ عَبْدِ الْحَلِيمِ الْغَزِيِّ

الْجُزْءُ الثَّلَاثُ: الْكِتَابُ النَّاطِقُ

الْحَلَقَةُ الثَّامِنَةُ وَالسُّتُونَ ١٢/٦/٢٠١٦ م

قَوَانِينُ الطِّيِّ وَالنَّشْرِ - الْجُزْءُ الْخَامِسُ

يَا زَهْرَاءُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَلَامٌ عَلَيْكَ يَا وَجْهَ اللَّهِ الَّذِي إِلَيْهِ يَتَوَجَّهُ الْأَوْلِيَاءُ.. بَقِيَّةَ اللَّهِ.. مَاذَا فَقَدَ مَنْ وَجَدَكَ وَمَا الَّذِي وَجَدَ مَنْ

فَقَدَكَ!؟..!

سَلَامٌ عَلَيْكُمْ إِخْوَتِي أَخَوَاتِي أَبْنَائِي بَنَاتِي..

لا زال الحديث تحت نفس العنوان المتقدم: (قوانين الطيِّ والنشر)، وصل الحديث بنا في الحلقة

الماضية وأنا أجري حديثي في أجواء سيّد الشهداء وفي أحناء كربلاء وفي أفناء عاشوراء، بشكلٍ سريعٍ أُخِّص

الخُطوط العامّة في حديثي في الحلقة الماضية:

منطق طرّحه علماءنا ومفكّرنا وخطبائنا:

هذا هو (تجاري مع المنبر) لشيخنا الوائلي رحمه الله عليه ولا أريد أن أقرأ كل كلامه الذي تقدّم ذكره في الحلقة الماضية، فقط أشير إلى هذه العبارة، في صفحة ١٠٧- والحال أن مدّة واقعة الطّف القتالية لا تتجاوز كلّها بضعة ساعات- إلى آخر الكلام، هذا هو المنطق الذي يشيع في الوسط الشيعي، هذا هو منطق مراجعنا الكرام، ومنطق خطبائنا وكتّابنا ومفكّرنا، ومنطق الثقافة الشيعية في الوسط الشيعي العام، فكلام شيخنا الوائلي هنا ما هو بيدع من القول بالنسبة للأجواء الشيعية، وبالنسبة للثقافة الشيعية العامة:- والحال أن مدّة واقعة الطّف القتالية لا تتجاوز كلّها بضعة ساعات- فبضعة ساعات هي حادثه عاشوراء في اليوم العاشر من المحرم.

وفي حلقة يوم أمس، حينما أخذت مقتل المقرّم مثلاً يقبله الشيخ الوائلي وتقبله الشيعة ويقبله مراجعنا وعلمائنا، وبين أيديكم بدأت أتابع الأحداث وأعطي وقتاً هو أقل بكثير من الوقت المنطقي للأحداث وللمجريات، وكانت البداية من بعد الزوال، فحسبنا مجموع الساعات من بعد الزوال إلى أن رفعوا رأس سيّد الشهداء على الرّمح فكانت: ٢٨ ساعة و ٤٠ دقيقة، والحساب منطقي وأقل من المنطقي، ولكن هل يوجد تفسير منطقي، أطول نهار في العراق كما قلت يبدأ من يوم ٦/٢٥ إلى ٧/٤، ومن الزوال إلى وقت أذان الغروب، إلى وقت الإفطار هناك سبع ساعات ونصف، وقد قتل الحسين عليه السلام والشمس ساطعة في السماء، فكيف يستطيع أصحاب المنطق العادي مثل ما حسّب الشيخ الوائلي ذبح الدجاج، أو مثل ما حسّب الشيخ المطهري، أو مثل ما حسّب السيّد ابن طاووس والبقية من علمائنا ومراجعنا، أن يحسبوا الزمان الذي يمكن أن يُقطع فيه الطريق ما بين كربلاء والكوفة والشام، وبعد ذلك من الشام إلى العراق أو إلى المدينة، بنفس المنطق أنا حسّبت الأحداث وبين أيديكم كان ذلك الحساب، تتبعت الحوادث بحسب تأريخ الطبري الذي اعتمده السيّد المقرّم في مقتله.

وحتى إذا افترضت بأنني قد بالغت، فكّم بالغت؟ بالغت في النصف؟ فلنفترض ذلك، نصف ٢٨

ساعة و ٤٠ دقيقة يكون ١٤ ساعة و ٢٠ دقيقة، أيضاً كيف تجدون تفسيراً لهذا؟!!

مع أنني ما بالغت وأمامكم قد أعطيت أوقاتاً قليلة جداً، وما حسبت الوقت لما قام به أصحاب الحسين من قتل لأعداء الله، فقط أخذت في نظر الاعتبار خروجهم من عند معسكر الحسين إلى ساحة القتال، دافعوا عن أنفسهم شيئاً ما بعضاً من الوقت القليل، وقتلوا ثم جاء أصحاب الحسين وحملوهم إلى الفسطاط، هذا الذي حسبته من الوقت، فكان ٢٨ ساعة و ٤٠ دقيقة، دعوي افترض النصف، ١٤ ساعة و ٢٠ دقيقة، بينما الوقت في أطول النهارات هو سبع ساعات ونصف من الزوال إلى الغروب، والحسين صلوات الله عليه قُتل والشَّمس ساطعة في السماء، فكيف تُفسرون ذلك؟!!

هل كانت واقعة عاشوراء واقعة عادية وبالنحو العادي؟!!

مثل ما سأل الشيخ الوائلي، هذا الكاتب الذي قال بأنَّ الحسين قُتل يوم الطف اثني عشر ألفاً، بغض النظر عن الأعداد، الشيخ الوائلي سأل الرجل-هل قاتل الحسين يوم الطف بمعجزة أم بصورة عادية؟ قال: بل بصورة عادية!-فهل كانت واقعة الطف واقعة عادية؟! إذا كانت واقعة الطف واقعة عادية فكيف تُفسرون طول الوقت هذا والذي حسبناه بحساب منطقي؟!!

كيف تُفسرون أيضاً ما مرَّ علينا وهو ما قاله إمامنا الصادق لعبد الله ابن سنان؟!!

والكتاب الذي بين يدي هو (إقبال الأعمال) للسيد ابن طاووس-وَلْيَكُنْ إِفْطَارُكَ بَعْدَ الْعَصْرِ بِسَاعَةٍ-إِفْطَارُكَ مِنَ الْإِمْسَاكِ فِي الْيَوْمِ الْعَاشِرِ-وَلْيَكُنْ إِفْطَارُكَ بَعْدَ الْعَصْرِ بِسَاعَةٍ فَإِنَّ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ تَجَلَّتْ الْهَيْجَاءُ عَنِ آلِ الرَّسُولِ وَأَنْكَشَفَتِ الْمَلْحَمَةُ عَنْهُمْ وَفِي الْأَرْضِ مِنْهُمْ ثَلَاثُونَ صَرِيحاً-انتهت المعركة بعد العصر بساعة، وقرأت عليكم مجموعة من كلمات أهل البيت من كتاب (وسائل الشيعة)، في أنه لا يوجد حدٌ فاصل وواضح وبيّن بين الظهر والعصر، فحينما يحدث الزوال فقد حلَّ الظهر والعصر معاً وهو وقت الصلاة، هناك وقت مختص لصلاة الظهر، دقائق بعد الزوال وبعدها يبدأ العصر، والإمام الصادق قال لعبد الله ابن سنان: (وَلْيَكُنْ إِفْطَارُكَ بَعْدَ الْعَصْرِ بِسَاعَةٍ)، والساعة لا تحسب بالدقائق، فهي ساعة عرفية يمكن أن تكون أطول من الساعة الفلكية ويمكن أن تكون أقصر، ساعة عرفية، والساعة العرفية الشيء الطبيعي أن تكون أقصر من الساعة الفلكية، يمكن لو حسبت أن تصل إلى نصف

ساعة، وهذا الكلام لا أقوله جزافاً وإنما من خلال تقسيم ساعات اليوم بحسب الأدعية والأوراد، فقد قُسمت ساعات اليوم وجُعِلت لها أدعية وأوراد، أدعية السّاعة الأولى، أدعية السّاعة الثّانية وهكذا، بعض الأحيان تكون طويلة، بعض الأحيان تكون قصيرة، ولكن المعدّل والمتوسّط، يمكن أن تصل إلى نصف ساعة أو أقصر أو تتجاوز النصف ساعة إلى ثلاثة أرباع السّاعة الفلكية، أنا لا أريد أن أخوض في كل هذه الجزئيات لأنّ الخوض في كلّ هذه الجزئيات سيفتح أبواباً لا أريد الدخول فيها ولا حاجة للدخول فيها أصلاً.

إذاً هناك منطق مبني على أنّ حادثة عاشوراء هي بضع ساعات، والمقاتل وكتب التاريخ نقلت أنّ الحسين قُتل والشّمس موجودة في السّماء ولم يكن الظلام قد حلّ ولم تكن الشّمس قد غابت، هو قُتل بعد الزّوال لذلك يقولون عند العصر لأنّ ما بعد الزّوال هو العصر، وقد رأيتم أنّ الأحداث التي جرت من بعد الزّوال هي الأحداث الأهمّ، فمقتل أهل البيت ومقتل سيّد الشهداء وكلّ التفاصيل حدثت متى؟ بعد الزّوال، إذاً الوقت الأطول من حادثة عاشوراء متى كان؟ كان بعد الزّوال، ولكن الأمر جرى بكلّ تلك التفاصيل الكثيرة والشّمس باقية في السّماء، فكيف جرى ذلك الأمر؟!

أصحاب المنطق العادي، والمنطق الثّراني، أصحاب هذا المنطق لن يستطيعوا أن يجدوا تفسيراً! ولن يستطيعوا أن يُنكروا، خصوصاً وأيّ لم أضف شيئاً على الأحداث التي هم يُقرونها، أحداث ذكرها الطّبري وأمثال الطّبري وهم يُقرونها في مقتل المقرّم أو المقاتل الأخرى، هذه الأحداث لم يعترض عليها أحد، وأنا لم أبالغ في الأحداث، ولم أضع في الحساب حتّى الأرقام المذكورة في هذه الأحداث في قضية قتل أصحاب الحسين أو قتل فرسان بني هاشم، العباس، سيّد الشهداء، ما قاموا به من قتل أعدائهم هذا لم أحسبه، ومع ذلك كان عدد السّاعات، ٢٨ ساعة و ٤٠ دقيقة، فكيف يكون التّفسير؟ كيف تُفسّرون ذلك؟!

أصحاب المنطق العادي، أصحاب المنطق الدجاجي، منطق دَبَح الدجاج، أصحاب هذا المنطق يقبلون؟ هم لا يستطيعون أن ينكروا هذا المنطق ولكنهم سيحاولون الفرار بأيّة طريقة، سيعودون لتضعيف ما جاء مذكوراً في نفس الكتب التي هم وثّقوها واعتمدوها!! وهذه اللعبة نحن نعرفها.

والأمر هو هو حين ينعكس على مسير السّبايا، مسير العائلة الحسينيّة..!؟

إذا أردنا أن نحسبها بالحساب العادي، فالمُدَّة الزَّمَنِيَّة لا تكفي للعائلة الحسينيَّة أن تخرج من كربلاء إلى الكوفة إلى الشَّام وتعود من الشَّام إلى العراق، المُدَّة الزَّمَانِيَّة قطعاً لا تكفي بحسب المنطق التُّرابي، ولكن يا جماعة قُضِيَّة عاشوراء لا تُقاس بالمنطق التُّرابي! وأمامكم هذا الدليل، هذا هو مقتل الطبري، هذا هو مقتل المقرَّم، هذا هو المقتل الَّذِي تقبلونه، وهذا هو الحساب المنطقي الرياضي، فمن بعد الزَّوال إلى مقتل سيِّد الشهداء والشَّمس موجودة في السَّماء، تستغرق الأحداث التي جرت ٢٨ ساعة و ٤٠ دقيقة وهي أكثر من ذلك، فماذا تقولون والمُدَّة بين الزوال والغروب هي ٧ ساعات ونصف؟! دعونا من هذه القُضِيَّة.

نتقل إلى موضوع دفن الأجساد، كيف تمَّت عملية دفن الأجساد..!؟

ألم يحضَّر الإمام السَّجَاد بطريقةٍ غير عاديَّة، وتمَّت عملية الدَّفن بطريقةٍ غير عادية؟ وهذا جزء آخر من عاشوراء وهو جزء الدَّفن، ألم يكن الإمام سَجِيناً عند ابن زياد ولكنَّهُ مع ذلك جاء ودَفن الأجساد؟

الجزء الأخير قبل الدفن:

ألم يكن هناك الأسد الَّذِي حمى الجسد الشَّرِيف من أن لا تُبقي له الخيول أثراً، هل كانت هذه القضية في السِّياق الطبيعي..!؟

ونذهب إلى ما هو أبعد من ذلك، نذهب إلى مسير الأَسارى، مسير السَّبَايا الحُسَيْنِيَّة..!؟

لو رجعنا إلى التاريخ كيف كانت مسيرهُ السَّبَايا؟ خرجت العائلة الحسينيَّة من كربلاء إلى الكوفة، وبقوا أيَّاماً في الكوفة، لم يتحرَّكوا من الكوفة باتجاه الشَّام عبر الطريق الاعتيادي، لم يتحرَّكوا عبر هذا الطريق، أتعلمون كيف كان طريق السَّبَايا بحسب ما هو المتوقَّر في كتب التاريخ؟ خرجوا بهم إلى الجنوب من الكوفة، المفروض أن يخرجوا بهم إمَّا إلى جهة الغرب، إلى غرب الكوفة إذا كانوا يسرون في الطريق الاعتيادي، لأنَّ سورية أين تقع؟ تقع غرب العراق، والكوفة النَّجف هي مُحاذية لصحراء الرَّمادي، فعلى طريق الرَّمادي، على طريق الأنبار من هنا يكون الطريق إلى سورية إلى الشَّام، هذا هو الغرب، وإذا أرادوا أن يتَّجهوا إلى شمال العراق فعليهم أن يسيروا شمالاً، أن يبدأ الطريق من شمال الكوفة، لكنَّهُم نزلوا إلى الجنوب، غريبٌ هذا! القضية غريبة! أنا هنا لا أريد أن أناقش ماذا يريد الأمويُّون من ذلك!! فالبرنامج ليس لتحليل كلِّ التفاصيل،

أنا فقط أريد أن أذهب إلى أنّ عاشوراء ما كانت حادثة عادية، خرجوا من الكوفة باتجاه الجنوب باتجاه القادسية، القادسية تقع جنوب الكوفة، ثمّ رجّعوا بعد ذلك باتجاه الشمال، وتوجّهوا إلى الموصل، والطريق طويل، ومن الموصل دخلوا إلى سورية، ومن سورية خرجوا فدخلوا في الأراضي التركية، منطقة نصيبين منطقة تركية موجودة في الأراضي التركية، دخلوا، أنا أتحدّث عن الخرائط السياسية في زماننا، وإلا سابقاً كانت البلدان متداخلة، لكنني أريد أن أقول: بأنّ الطريق كان طريقاً ليس اعتيادياً، دخلوا في الأراضي التركية، ورجعوا فدخلوا في الأراضي السورية، ثمّ انحرفوا إلى لبنان فدخلوا في الأراضي اللبنانية إلى منطقة بعلبك، وفي بعض الكتب أنّهم ذهبوا باتجاه فلسطين ودخلوا إلى الأراضي الفلسطينية، ومن فلسطين دخلوا إلى سورية لكن المشهور أنّهم دخلوا إلى لبنان إلى بعلبك ومن بعلبك دخلوا إلى الأراضي السورية إلى دمشق، وهذا طريق طويل، ربّما لو يُحسب في أيامنا هذه قد يصل إلى ألفين كيلو متر، أو أكثر من ذلك بقليل أو أقلّ من ذلك، والواقع هو لا يوجد عندنا طريق دقيق حتّى يُحسب بالدقّة، لكن كلّ هذه المعلومات أنّها هي تقريبية ولا توجد معلومات دقيقة بالضبط مئة في المئة، بينما الآن إذا نُريد أن نحسب المسافة فيما بين الكوفة ودمشق على خرائط قوقل (Google maps)، إذا تحسبون المسافة ٩٢٠ كيلو متر، يعني ما يقرب من ألف، أقل من الألف كيلو متر فيما بين الكوفة ودمشق، ويبدو أنّ الطريق الحالي هذه هي مسافته، ٩٢٠ كيلو متر، والطريق الذي سلكوه الأمويّون مع الأسارى ومع السّبايا الحسينية يقرب من ألفي كيلو متر وربّما أكثر.

العرب كانت تسير في اليوم مسيرة بريد، إذا كانت القوافل تسير على الرّاحة وما عندهم مشاكل فكانوا يسّرون بريداً، البريد تقريباً في زماننا هو مسافة القصر، يعني عشرين كيلو متر، أكثر، ما بين العشرين إلى الخمسة وعشرين كيلو متر هي هذه مسافة البريد، قطعاً لا توجد مسافات دقيقة حتّى في حساب مسافة القصر، لا توجد حسابات دقيقة جداً، لا في تلك الأزمنة ولا في زماننا هذا، والقضايا تقريبية، فمسافة البريد ما بين الـ ٢٠ إلى ٢٥ كيلو متر، صحيح الآن الشّائع بين الفقهاء أنّ مسافة القصر ٢٢ كيلو متر ونصف مثلاً، ولكن هي هذه المسافة تتردّد ما بين العشرين كيلو متر إلى خمسة وعشرين وهي التي تُسمّى بريداً عند العرب، فكانت القوافل تسير هذه المسافة يومياً لأجل أنّ تستريح وتواصل طريقها.

وإذا كانت هناك ظروف خاصة مثل ظروف السببايا، وهناك اضطرار للحركة السريعة فإنهم يسرون بريدن لا أكثر من ذلك، يعني ما يقرب من ٤٠ كيلو متر، وأقصى ما يمكن ما يقرب من ٥٠ كيلو متر، وإذا كانت المسافة الفين كيلو متر ويومياً يمَشون أربعين كيلو متر فهم بحاجة إلى ما يقرب من ٥٠ يوماً، يعني إذا نُقِسَّ الألف على عشرين، فالألف على عشرين هي خمسون، فإذا كان عندنا المسافة عبارة عن ٢٠٠٠ كيلو متر، يومياً يمَشون أربعين فهم بحاجة إلى خمسين يوماً، فنقلهم بحاجة إلى شهر هذا في الرّواح، وفي الجيء أيضاً هم بحاجة إلى مُدَّة زمانية، قطعاً هم في الجيء ما سلكوا نفس الطريق، بل سلكوا طريقاً آخر، في الرجوع سلكوا الطريق الاعتيادي ولم يعودوا في نفس الطريق الطويل، فرجعوا في طريقٍ أقلّ مسافةً، ولكن مع ذلك فهم بحاجة إلى زمان طويل، ونحسب المدّة التي بقوا فيها هناك، ونحسب أيضاً أنهم لا بُدَّ أن باتوا أياماً وتوقفوا في الطريق، لا يعني أنهم كانوا يسرون يومياً بصورة متتابعة فهذا مُستبعد، فيحتاجون إلى مُدَّة طويلة، فلذلك السيّد ابن طاووس والعلماء والمراجع حسبوا القضية بهذه الطريقة. نعم بهذه الطريقة وبهذا الحساب المنطقي العادي وهذا المنطق التراخي فهم حتماً لا يصلون إلى كربلاء في العشرين من صفر!

لكن نحن إذا أخذنا بنظر الاعتبار: أولاً أنّ عاشوراء ليست حادثة عادية، وأدلّ دليل على أنّ عاشوراء حادثة ليست عادية هو هذا الحساب الذي حسبته أنا يوم أمس ما بين الرّوال إلى مقتل سيّد الشهداء والشّمس في السماء فكان ٢٨ ساعة و ٤٠ دقيقة على أضعف درجةٍ من الحساب، وقضيّة دفن الأجساد وأنّ الإمام صلوات الله وسلامه عليه يخرج من الكوفة إلى كربلاء ويرجع في لحظات بعد أن يكمل عملية الدفن، والقضيّة هي القضية.

النقطة الأخرى المهمّة:

نحن لا نستطيع أن نتصوّر المشروع العاشورائي من دون الرّيادة السّجادية الرّنينيّة الأربعينيّة، ولا أدري لماذا يُصِرّ العلماء على أنّ زيارة الأربعين حضرها جابر فقط؟ لماذا هذا الإصرار؟! وإذا أردتم أن تحسبوا أيضاً بنفس الحساب المنطقي الثّراني فكيف وصل الخبر إلى المدينة؟ ثمّ متى استطاع جابر أن يتهيأ وأن يصل؟ أيضاً بهذا الحساب لا يمكن لجابر أن يصل!!.. إذا أردنا أن نحسب المسافة ما بين المدينة وكربلاء وكم يوماً يحتاج وصول الخبر إلى المدينة، لكن مع ذلك هناك العديد من العلماء والمراجع يُصرون على أنّ زيارة الأربعين حضر

فيها جابر فقط، وزيارة الأربعين هي جزء لا يتجزأ من مشروع عاشوراء، ولا بُدَّ من وصول القافلة الحسينية إلى كربلاء في الأربعين، وإلا تبقى الصورة ناقصة..!!

أنا أحاطبُ وجدانكم الحسيني، واللوحة الحسينية أساساً رسمها الحسينُ كَي يُخاطبَ وجداننا، نحنُ الذين نُسمِّي أنفسنا بالحسينيين، لوحة عاشوراء تُخاطبُ الحسينيين أولاً، هذه اللوحة هل يمكن أن تكون كاملة بحُكم الوجدان الحسيني من دون الأربعين..؟! ومن دون أن تكون زينب في كربلاء في يوم الأربعين..؟! إذاً زيارة الأربعين ستفقد معناها! فقيمة زيارة الأربعين هي في حضور إمامنا السَّجاد، وفي حضور العقيلة، وفي حضور العائلة الحسينية، فمن دون الزيارات جُعِلت زيارة الأربعين علامةً للمؤمن، هذه الزيارة التي هي علامة للمؤمن، أنا أحاطب وجدان المؤمن، مَنْ هو المؤمن في حديث أهل البيت؟ لا تتصوّروا أنَّ المؤمن هو الذي يُصلي أو أنَّ المؤمن هو الذي يصوم، أو أنَّ المؤمن هو الذي يدفع الخُمس، أو أن المؤمن هو الذي يُقدِّس العلماء بحيث يجعلهم آلهة، هذا ما هو بمؤمن، المؤمن يمكن أن لا يُصلي ويمكن أن لا يصوم ويُسمّى مؤمناً، وهذا ما يقوله الفقهاء بالمناسبة، لست أنا الذي أقوله، إذا ما ذهبنا إلى الكتب الفقهية، لو كان في بالي أن أتحدّث عن هذه المسألة لجتتكم بأقوال الفقهاء، المؤمن هو الشيعي بغضّ النظر أنه يُصلي أو لا يُصلي، يصوم أو لا يصوم، فتلك قضية أخرى، مصطلح المؤمن حتّى عند الفقهاء هو الشيعي بغضّ النظر أنه يُصلي أو لا يُصلي، هذا هو المؤمن في اصطلاح أهل البيت وحتّى في اصطلاح الفقهاء.

وزيارة الأربعين هي من علامات المؤمن، أنا أسأل المؤمنين حينما تكون هذه العلامة من علاماتهم ألا يتحسّسونها بوجدانهم..؟! لو أنهم ذهبوا إلى زيارة الأربعين وهم في أذهانهم أنَّ رأس الحسين لم يعد في الأربعين، وأنَّ الإمام السَّجاد ما جاء في هذا اليوم، وأنَّ العقيلة ما جاءت ولا كانت تقوم عند قبرٍ وتقعّد عند قبرٍ آخر، وأنَّ الهاشميات لم يُقمنَ العزاء في أرض الطفوف، وأنَّ جابراً لم يلتقِ بإمامه السَّجاد، وأنَّ هذه المعاني ما حدّثت بحسب المنطق الثرابي لمراجعنا وعلمائنا! إذاً والله لا قيمة لزيارة الأربعين، فماذا يمكن أن يكون معناها؟ زيارة الأربعين عمقها الوجداني وعمقها المعنوي هو هذا..!! وإلا ستحوّل زيارة الأربعين إلى زيارة من زيارات سيّد الشهداء تشمّلها أوصاف الزيارات الأخرى، ولكنها ستجرّد عن خصوصيتها التي صارت بسببها علامةً للمؤمن! لماذا لم يُقل إمامنا العسكري بأنَّ الزيارة الشَّعبانية التي تُقرأ في مَولد إمام

زَماننا، أو الزَّيَّارة الرجبية، أو.. أو.. هي علامة للمؤمن؟! وزيارة عاشوراء لها خصوصياتها! ولكن جعلت زيارة الأربعين علامة للمؤمن، لماذا؟ كي لا تُهمَل هذه الزيارة، وكي يلتفت المؤمن إلى أن يوم الأربعاء هو يومٌ له خصوصية، وخصوصيته هي بعودة رأس الحسين، وعوده الرؤوس الأطهار، وزيارة السَّجَادِ والعقيلة والعيالات الحسينية، لذلك لا يستطيع الوجدان الحسيني الشيعي أن يتصوَّر عاشوراء من دون الأربعاء وبكلِّ هذه التفاصيل!؟!

فالأربعين هي جزءٌ من المشروع العاشورائي وإلا سيبقى هذا المشروع ناقصاً وسيبقى أعوراً! هناك وحدة متكاملة ما بين العاشر وما بين الأربعين! هناك تكامل ما بين دماء الحسين وما بين آلام السَّجَادِ! هناك تكامل ما بين نداءات الحسين في كربلاء وبين خطابات العقيلة في الشَّام وبين شهقة العيال على أرض الطفوف في يوم الأربعاء! فالصورة صورةٌ متكاملة، والذي يريد أن يُقَطِّع هذه الصورة فإنه يعبث بالمشروع الحسيني، مرجعاً كان، أم عارفاً، أم مُحدِّثاً، أم عالماً، أم خطيباً سَمَّ ما شئت، إنه يعبث بالخارطة الحسينية الكاملة، هناك خارطة كاملة، هناك لوحة كاملة، هناك مسيرة، هناك مُخَطَّط، هناك مشروع، هناك بناء، سَمَّ ما شئت، وهذا البناء لا نستطيع بوجداننا الحسيني أن نتصوَّره من دون هذه الخارطة الكاملة.

كما أنَّ الحسين يتجاوز العصور، وكما أنَّ الحسين يعبرُ الحواجز، فلا تقفُ أمام الحسين حواجز الأديان، وحواجز المذاهب، من يتبَّع التاريخ ومن يتبَّع الواقع، هناك للحسين نُفُودٌ في كُلِّ الجاهِ فَتَحَ أبوابه للحسين، هناك نُفُودٌ للحسين يتجاوز العواطف ويتجاوز التَّضاريس الأرضية ويتجاوز قَوَانين الأجناس والألوان، فكما أنَّ الحسين تجاوز كلَّ هذه الحواجز، وكما أنَّ الوجدان الحسيني في الواقع الشيعي هو الآخر لا تحدُّه حدود، فهل هناك من حدودٍ لعلاقة الحسينيين بالحسين صلواتُ الله وسلامه عليه؟ هل هناك من حدود؟ هل هناك من مُترجمٍ يستطيع أن يُترجم لنا اللُّغة الحسينية فيما بين الحسين وبين الإنسان عموماً؟! وفيما بين الحسين وبين الشيعة والحسينيين منهم بشكلٍ خاص؟! هل هناك من مترجمٍ يستطيع أن يُترجم هذه اللُّغة؟! لا يوجد، لماذا؟ لأنَّ هذه اللُّغة تتجاوز المشاعر! وتتجاوز العواطف! وتتجاوز التَّصوَّرات التي تحكمها حدودُ النَّفس البَشَريَّة! فكما أنَّ الحسين، ولا أتحدَّث عن الحسين في عالم الحقيقة فذلك شيءٌ آخر! إنِّي أتحدَّث عن الحسين الذي دُبِحَ في كربلاء! عن الحسين الذي هَوَّاهُ ونَعَشَفُهُ! لا أتحدَّث عن الحقيقة التي لا

أعرفها، نعم أدرك وجودها ولكنني لا أدرك كنهها! إنني أتحدث عن حسين أمثولة الرحمة في هذا الوجود، أتحدث عن حسين أجمل النشآت الإلهية التي سطعت على هذا التراب، إنني أتحدث عن حسين الذي كان يُقبله رسول الله ويكي.

الرواية في كامل الزيارات لشيخنا ابن قولويه، عن أبي جعفر عن إمامنا الباقر: -قال: كان رسول الله إذا دخل الحسين (في طفولته)، جذبته إليه، ثم يقول لأمير المؤمنين أمسكه ثم يقع عليه (رسول الله يقع على الحسين) فيقبله ويبكي -يجذب الحسين ثم يقول لأمير المؤمنين أمسكه ثم يقع على الحسين فيقبله ويكي: -فيقول- الحسين يقول- يا أب لم تبكي؟ فيقول: يا بني أقبل مواضع السيف منك وأبكي- هكذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقبل مواضع السيوف ويكي! إنها مواضع الألم! مواضع السيوف هي مواضع الألم الحسيني- يا بني أقبل مواضع السيف منك وأبكي- وهل هناك من موضع في جسد الحسين لم يكن موضعاً ومحلاً لتساقط السيوف والرماح والنبال؟! إنني أتحدث عن حسين هذا، حسين الذي أكلتمكم عنه هو هذا، هو هذا الذي كان يمسكه عليّ فيقع عليه رسول الله فيقبله ويكي- يا أب لم تبكي؟ فيقول يا بني أقبل مواضع السيف منك وأبكي.. يا حسين..

فكما أن الحسين يتجاوز الألفاظ ويتجاوز المعاني ويتجاوز حدود الإدراك عندنا، فآثاره هي كذلك، وعاشوراء هي كذلك، وعاشوراء تتجاوز الحساب المنطقي الثرابي، فنحن نتحدث عن حسين الغيب..؟! وعاشوراء كذلك هي صورة من حسين الغيب..؟! فكانت لها خصوصيات تختلف عن سائر مجريات الأحداث التي تحكمها القوانين والسُنن الاعتيادية الثابتة..!!

كيف نفهم الأمر إذا..؟!!

إذا أردنا أن نفهم شيئاً مما جرى في عاشوراء، فعلينا أن نفهم قوانين الطي والنشر..!! من هنا جاء عنوان هذه الحلقات: (قوانين الطي والنشر)!!

ما المراد من هذا المصطلح، قوانين الطي والنشر؟

المعنى اللغوي أعتقد أنه واضح، الطي هو الجمع، والنشر هو التفريق، طويث الشيء أي جمعه، ونشرته أي فرقته، فالطي اختصار، والنشر توسع، فهناك قوانين الطي والنشر، والوجود بُني على هذه القوانين، ونحن نمارسها، في كل صقع من أصقاع حياتنا نحن نمارس هذه القوانين وقد لا نلتفت إلى ذلك، ما يسمّى باختصار القول، هو طي للقول، وما يسمّى بالتفسير والشرح فهو نشر للقول، فهناك اختصار واقتضاب، وهناك تفسير وشرح، أي هناك طي ونشر.

والخطوط الاقتصادية بشكل عام تعتمد نفس الفكرة، ففي بعض الأحيان تقلل المصارف وتضغطها، وهي عملية طي، وفي بعض الأحيان توسع المصارف وتفتح المجالات، وهي عملية نشر.

وهذا الأمر يجري حتى في حياتنا الشخصية، حينما تُبنى بيوت مختصرة فهذه عملية طي، وحينما تبنى بيوت واسعة فارحة فهذه عملية نشر، وحياتنا في مجرياتها السياسية والاقتصادية والعلمية تجري في أجواء الطي والنشر، أيما وجهت وجهك في قضية من القضايا حتى في القضايا الاجتماعية والمشاعرية والعاطفية هناك طي للعواطف وهناك نشر، فهناك أشخاص تتعامل معهم فتفتح لهم عواطفك بكاملها، وهناك أشخاص تتعامل معهم فتضيّق وتطوي عواطفك تجاههم، والطبيعة البشرية مبنية على هذا الأساس، أنا جئت بهذه الأمثلة، وهذه الأمثلة في الحقيقة هي انعكاس لقوانين الطي والنشر، وليست قوانين الطي والنشر هي هذه التي تحدت عنها، ما ذكرته من أمور ترتبط بالحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والنفسية والمشاعرية والثقافية والعلمية في أجواء الطي والنشر هي من آثار تطبيقات قوانين الطي والنشر.

إذا ما ذهبنا إلى القرآن الكريم:

على سبيل المثال إذا أردنا أن نذهب إلى سورة الدّاريات، الآية السّابعة والأربعون- ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾- هذه عملية نشر، والعلم الحديث يرصد عملية التوسّع في الكون، عملية التوسّع في الكون موجودة فعلاً، وبغض النظر عن رصد العلم الحديث، الآية واضحة فهي تتحدت عن النشر، هذا قانون من قوانين النشر في الجانب التكويني-﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾.

بينما إذا ذهبنا إلى سورة الأنبياء الآية الرابعة بعد المئة في سورة الأنبياء- ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السَّجِلِّ لِلْكَتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْنا إِنَّا كُنَّا فاعِلِينَ﴾- في سورة الذاريات في الآية السابعة والأربعين- ﴿وَالسَّمَاءَ بَنِيناها بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾- وإنا لموسعون هنا عملية نشر- وفي المقابل ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السَّجِلِّ لِلْكَتُبِ﴾- أنا لا أريد أن أقف عند هذه الآيات لشرحها وتفسيرها فسيطول بي المقام، وإنما أردت أن أقرب فكرة الطي والتشريح، وأن الوجود قائم علي هذه القضية- ﴿وَالسَّمَاءَ بَنِيناها بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾- نحن الآن في هذه المرحلة، وفي مرحلة يوم القيامة:- ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السَّجِلِّ لِلْكَتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْنا إِنَّا كُنَّا فاعِلِينَ﴾.

إذا ذهبنا إلى سورة المعارج، في سورة المعارج في الآية الرابعة:- ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾- هذا اليوم مقداره خمسون ألف سنة، الآية الرابعة من سورة المعارج، الآية بحاجة إلى شرح وتفسير وربط الآية بما قبلها وما بعدها، لكنني لست في مقام تفسير الآيات فقط آخذ لقطعة إجمالية:- ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ وهذه هي عملية نشر.

وهناك عملية طي، إذا نذهب إلى سورة السجدة الم السجدة، في الآية الخامسة:- ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾- أليس هذه عملية طي لنفس المعراج الذي كان في خمسين ألف، عملية نشر وعملية طي:- ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾.

وإذا ذهبنا إلى سورة يس في الآية الثانية بعد العاشرة-: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا

وَأَنآرُهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ - هذه عملية طي. وقطعاً عمليات الطي الخاضعة لقوانين

الطي ليست بمرتبة واحدة.

وخطاب الأمير للإنسان:

أَتَزَعُمُ أَنَّكَ جُرْمٌ صَغِيرٌ وفيك انطوى العالم الأكبر

وَأَنْتَ الْكِتَابُ الْمُبِينُ الَّذِي بأحرفه يظهر المضمّر

هو خطابٌ للحقيقة الإنسانية، فالحقيقة الإنسانية قد طوي فيها الكون، ولكن بحسبها، وهنا

الحديث عن المعصوم بحسبه المطلق- ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾- هذا طي في المعصوم، فقد

طويت فيه الحقائق، وبعبارة أخرى هذه إحاطة المعصوم، كما في الحديث القدسي- (لَا تَسْعَنِي سَمَاوَاتِي

وَأَرْضِي وَيَسْعَنِي قَلْبُ عَبْدِي الْمُؤْمِنِ)، والمؤمن هنا هو المعصوم- ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ -

كلّ هذه الكلمات بحاجة أن نقف عندها لكنني لست بصدد شرح هذه الكلمات، أنا هنا فقط أريد أن

أقرب فكرة الطي والنشر وأن الوجود قائم على هذه القوانين.

إذا ذهبنا إلى سورة النحل الآية التاسعة والثمانون- ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ -

هذا الكتاب هو تبيان لكل شيء، وهذه عملية طي، إذ كيف يكون هذا الكتاب بألفاظه المحدودة تبياناً لكل

شيء؟! أصلاً الأحكام الشرعية غير مبيّنة في هذا الكتاب، في الجهة اللفظية التي نقرأها ونحفظها ونسمعها

ونتعلّمها، في الجهة اللفظية حتى الأحكام الشرعية ليست موجودة فيه، والكثير من المطالب الدنيّة ليست

موجودة في القرآن- ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ بحسب قانون الطي، والطي الأكمل

والأوسع هنا ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ لذلك هذا الكتاب لا يفهمه إلا من حوَّط به.

وهناك مراحل أخرى من الطي:

أليس الروايات تُحدِّثنا أن تفسير القرآن موجود في الفاتحة؟ القرآن موجود في الفاتحة وهذه عملية طيٍ فقد طوي القرآن في الفاتحة، والفاتحة هي في البسملة، وهكذا طويَّت الفاتحة في البسملة، والبسملة في الباء فطويَّت البسملة في الباء، والباء في النقطة والنقطة تعرفونه فهو يقول: وأنا النقطة، هو عليُّ صلواتُ الله وسلامه عليه، الحقيقة التي طويَّت فيها كلُّ الحقائق، والصادق يقول: (كَانَ الْعِلْمُ نُقْطَةً فَكَثَّرَهَا الْجَاهِلُونَ)، وتلك صورةٌ للباء: (كَانَ الْعِلْمُ نُقْطَةً فَكَثَّرَهَا الْجَاهِلُونَ)، وهي إشارةٌ من بعيد إلى الحقيقة العلوِيَّة الواحدة البسيطة، وهي عينُ الحقيقة المحمَّديَّة، نورٌ واحد وطينةٌ واحدة وحقيقةٌ واحدة.

أعتقد أنَّ الأمثلة صارت واضحة، فهذه الأمثلة منها ما يتعلَّق بعالم الغيب، ومنها ما يتعلَّق بعالم الشَّهادة، كلُّ هذه المعاني، وكلُّ هذه المضامين تشير إلى قوانين الطيِّ والنَّشر، فالفاتحة طيٌّ بالنَّسبة للمصحف وللقرآن، والقرآنُ نُشرٌ بالنَّسبة للفاتحة، والبسملة طيٌّ بالنَّسبة للفاتحة، و الفاتحة نُشرٌ بالنَّسبة للبسملة، والباء طيٌّ بالنَّسبة للبسملة، والبسملة نُشرٌ بالنَّسبة للباء، والنقطة طيٌّ بالنَّسبة للباء والباء نُشرٌ بالنَّسبة للنقطة، وهذا الكونُ هو نُشرٌ للحقيقة الإنسانية والحقيقة الإنسانية هي طيٌّ لهذا الكون.

أتزعّم أنّك جُرْمٌ صغيرٌ وفيك انطوى العالم الأكبر

أمثلة يمكن أن أسوقها لتقريب الفكرة، فكرة قوانين الطيِّ والنَّشر:

في العلم الحديث هناك نظريةٌ معروفةٌ أعتقد أنَّ المثقَّفين يعرفونها وأنَّ الدارسين للفيزياء والعلوم الحديثة يعرفونها وهي ما تُسمَّى (بنظرية الانفجار الكبير)، وهي من تطبيقات نسبيَّة اينشتاين، وخلاصتها أنَّ الكون بدايته كانت قبل خمسة عشر مليار من السنين، وبداية الكون كانت من جُزئيٍّ أو جُزئيةٍ أو بيضةٍ كما يُسمِّيها البعض بيضة الكون، وهذا الجزيء صغير جداً ويشتمل على قوَّة هائلة لا يستطيع علم الرياضيات ولا الدَّهن البشري أن يتخيَّل صِغر هذا الجزيء الذي بدأ منه الكون، وكذلك لا يستطيع علم الرياضيات ولا الدَّهن البشري أن يتخيَّل مدى الصَّلابة والصَّلادة في هذا الجزيء، ثمَّ حدث انفجار في داخل هذا الجزيء، حدث انفجارٌ مُدوِّي ولا زال هذا الانفجار مستمراً إلى هذه اللَّحظة، والكون في توسُّع وسيبدأ الكون يتَّهَر ويُنْتهي إلى الثُّقوب السُّوداء حينما تنتهي قوَّة هذا الانفجار. هذه هي نظرية الانفجار الكبير أو الـ (Big

Bang) البيج بانگ، التي هي من تطبيقات نسبيّة أينشتاين، وأعتقد أنّ هذه النظرية معروفة، يعرفها الكثيرون ويعرفها الدارسون للعلوم الحديثة، وأنا هنا لا أريد أن أحكم على هذه النظرية فما ذلك من اختصاصي، ولكن هي أيضاً فكرة واضحة عن مسألة الطي والنشر، فيحسب هذه النظرية كان الكون مطوياً في تلك البيضة أو في تلك الخلية أو في ذلك الجزيء الذي لا يستطيع الدّهن البشري أن يتصوّره، ثمّ بعد ذلك حدث الانفجار وحدث الانتشار، فهي عملية طي ونشر، وبغضّ النظر عن صحّة هذه النظرية أو عدم صحّتها، إلّا أنّ هذا التصوّر نشأ من خلال دراساتٍ طويلةٍ حتّى وصل الدّهن البشري إلى هذه النتيجة.

وما يجري في علم الاستنساخ البشري أو الاستنساخ بشكل عام الحيواني والبشري، أليس العملية تبدأ من خلية وهذه الخلية هي التي ستتولّد منها النسخة التي يُراد إيجادها، أليس هذه عملية طي ونشر؟ أنّ هذا المُستنسخ سواء كان حيواناً إنساناً أو كان جزءاً من الإنسان وعضواً من أعضائه، أليس عملية الاستنساخ هذه هي خليةٌ طويّت فيها المضامينُ ثمّ بعد ذلك حدثت عملية الانتشار؟

وفي الفيزياء التّووية: نفس العملية، عملية توليد الطّاقة التّووية، هناك تقنية الانشطار التّووي وهي الشّائعة، وهناك تقنية الاندماج التّووي، الانشطار التّووي هو عملية انتشارٍ لما في التّواة، والاندماج التّووي هو عملية طي بين الذرّات، وهذه التقنية موجودة فهناك قانون طي وهناك قانون نشر، والعلماء يقولون بأنّ الاندماج يولّد طاقة أكبر من الانشطار، بالنتيجة ليس الحديث هنا عن هذه الموضوعات فلا أنا بالمتخصّص ولا البرنامج معدّ لمثل هذه الأبحاث وإمّا هي أمثلة أقرب بواسطتها الصورة.

وفي نهج البلاغة الشّريف:

في الخطبة الأولى يُحدّثنا أمير المؤمنين عن بداية خِلقة الكون، وهو كلامٌ عجيبٌ لا تُدرِك أسرارُه! ويأتي من يقول لي بأنّ نهج البلاغة ضعيف من جهة السّند، كما يقول بذلك مراجعنا وعلمائنا! أو ذاك الذي يقول أيضاً من مراجعنا وعلمائنا وهم كثيرون بأنّ الأحاديث التي وردت عنهم أكثر من ٩٠% منها وردت بالمعنى! أنا أريد أن أسأل المراجع هل يفهمون المعاني الموجودة في هذه الخطبة؟! والله لا يفهمونها، هذه المعاني التي ذُكرت فضلاً عن بلاغتها وسبّكها لكن هذه المعاني لا يُمكن أن تُدرِك فقط من الجهة اللّغوية والأدبية، لأنّ المُحدّث يتحدّث عن شيءٍ هو أشرف عليه وهو أطلّ عليه، يتحدّث عن بداية الوجود،

فأين نحنُ وأين بداية الوجود، أقرأ لكم، لكنني جئت بهذا الكلام مثلاً لأنَّ هذا الكلام يشتمل على قوانين النَّشر- ثُمَّ أَنْشَأَ سُبحَانَهُ فَتَقَّ الأَجْوَاءَ-الْفَتْقُ هو عملية نشر، هو قانون نشر-ثُمَّ أَنْشَأَ سُبحَانَهُ فَتَقَّ الأَجْوَاءَ وَشَقَّ الأَرْجَاءَ-وعملية الشق أيضاً عملية نشر، فهنا عملية فتق وشق-ثُمَّ أَنْشَأَ سُبحَانَهُ فَتَقَّ الأَجْوَاءَ وَشَقَّ الأَرْجَاءَ وَسَكَئِكَ الهَوَاءَ فَأَجْرَى فِيهَا مَاءً مُتَلَاظِمًا تَيَّارُهُ-ليس الحديث عن هذا الماء الذي نحنُ نشره-فَأَجْرَى فِيهَا مَاءً مُتَلَاظِمًا تَيَّارُهُ مُتْرَاكِمًا زَخَّارُهُ حَمَلُهُ عَلَى مَنِّ الرِّيحِ العاصِفَةِ وَالزَّرْعِ القاصِفَةِ فَأَمْرَهَا بِرَدِّهِ وَسَلْطَتِهَا عَلَى شَدِّهِ وَقَرْنَهَا إِلَى حَدِّهِ، الهَوَاءُ مِنْ تَحْتِهَا فَتِيْقُ وَالمَاءُ مِنْ فَوْقِهَا دَفِيْقُ ثُمَّ أَنْشَأَ سُبحَانَهُ رِيحًا اعْتَقَمَ مَهَبُّهَا وَأَدَامَ مُرَبُّهَا وَأَعَصَفَ مَجْرَاهَا وَأَبْعَدَ مَنْشَاهَا فَأَمْرَهَا بِتَصْفِيْقِ المَاءِ الزَّخَّارِ وَإِثَارَةِ مَوْجِ البِحَارِ فَمَخْضَتُهُ مَخْضَ السَّقَاءِ وَعَصَفَتْ بِهِ عَصْفَهَا بِالفَضَاءِ، تَرُدُّ أَوَّلُهُ إِلَى آخِرِهِ وَسَاجِيَهُ إِلَى مَائِرِهِ حَتَّى عَبَّ عُبَابُهُ وَرَمَى بِالزَّبْدِ زَكَامُهُ فَرَفَعَهُ فِي هَوَاءٍ مُنْفَتِقٍ وَجَوٍّ مُنْفَهِقٍ فَسَوَى مِنْهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ-لذلك قلت بأنَّ هذا الماء ما هو بالماء الذي نشره-فَسَوَى مِنْهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ جَعَلَ سُفْلَاهُنَّ مَوْجًا مَكْفُوفًا وَعُلْيَاهُنَّ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَسَمَكًا مَرْفُوعًا بِغَيْرِ عَمَدٍ يَدْعُمُهَا وَلَا دِسَارٍ يَنْظُمُهَا ثُمَّ زَيَّنَهَا بِزِينَةِ الكَوَاكِبِ وَضِيَاءِ النَّوَابِقِ وَأَجْرَى فِيهَا سِرَاجًا مُسْتَطِيرًا وَقَمْرًا مُبِيرًا فِي فَلَكِ دَائِرٍ وَسَقْفٍ سَائِرٍ وَرَقِيمٍ مَائِرٍ-لا يستطيع أحد أن يفهم المعاني على حقيقتها، لأنَّ هذا الحديث هو عمَّا قبل خِلْقَتِنَا، فكيف نستطيع أن نتصوَّر ذلك؟ لا يمكن!! هل منَّا أحد يستطيع أن يتصوَّر كيف كان في رحم أمِّه؟ فما بالك والحديث عن السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ وهي في رحم أمِّها تتكوَّن، فعليُّ هنا يُحدِّثنا عن رَحِمِ السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ، ونحن ماذا نعرف عن أرحام أمِّهاتنا حتَّى نعرف عن رَحِمِ السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ؟ فالحديث كان عن فتقٍ وشقٍّ والفتق والشقُّ هو عملية نشرٍ من بعد طيِّ.

وحَتَّى في أحدثِ علومِ العصر، في النانوتكنولوجي، في علم الجينو، في الكوانتيك فيزيك، في كلِّ هذه العلوم لو أردنا أن نبحث فإنَّنا سنجد قوانين الطبيِّ والنَّشر واضحةً جدًّا، سواء كانت هذه العلوم تقرأ لنا قوانين الكون، أو أنَّها تبحث وتنظِّم في بحثها ما وصلت إليه من نتائج فإنَّها ستعود وتقع في خيمةِ قوانين الطبيِّ والنَّشر، على سبيلِ المثال: ما يجري في النانو تكنولوجي وفي تقنية النانو، ماذا يجري في تقنية النانو؟ أُنهم يُقسِّمون أجزاء المادة إلى أصغر ما يمكن، إلى أجزاء النانو ميتر، إلى أصغر ما يمكن من تقسيم أجزاء

المادة بحيث تفقد تلك الأجزاء خاصية المادة، يعني لو أخذوا مثلاً حديداً وبدأوا يجزئونه إلى أجزاء، فنلك الأجزاء ستفقد خاصية الحديد، حينئذ تكون مادة فقط ولا توجد فيها مواصفات الحديد، وحينئذ تشتغل تقنية النانو فيعيد تركيب تلك الأجزاء بطريقة تُنتج مادةً أخرى، لأن هذه الأجزاء كلما تغيرت خارطة تنظيمها وتركيبها فإنها تُعطينا مادةً من المواد، على سبيل المثال مادة الفضة وهي غالية وليست رخيصة، فلا يُعقل أن شركة سامسونج مثلاً تظلي ما تنتجه من الثلاجات وأجهزة التجميد وأجهزة التبريد الهوائي والتكييف، تظلي كل ذلك بمادة الفضة، بفضة حقيقية، الآن منتوجات شركة سامسونج من الثلاجات ومن البرادات ومن المكيفات تُظلي بمادة الفضة، بمادة فضة حقيقية لماذا؟ لأن مادة الفضة لا تسمح لنشوء البكتريا، وعادةً الثلاجات والمُحمّدات والبرادات والمكيفات تكون محلاً مناسباً جداً لنشوء البكتريا وانتشارها، فلذلك قامت هذه الشركة بطلاء منتوجاتها في الفترة المتأخرة بمادة الفضة، وهذه المادة أنتجوها وصنّعوها على طريقة تقنية النانو تكنولوجي، فهم يأتون بمواد رخيصة جداً ويجزئونها حتى تفقد تلك المواد خاصيتها ثم يعيدون تركيبها بالطريقة التي تتركب فيها أجزاء وذرات الفضة فتكون لديهم فضة، فتكون الفضة رخيصة حينئذ والقضية طويلة، وحتى بالنسبة للذهب، هناك تقارير علمية تقول بأنهم قادرون عن طريقة هذه التقنية على أن يأخذوا الحديد أو أي مادة أخرى كالألمنيوم حيث يُجزأ وبعد ذلك يُعاد تركيبه فيتحوّل إلى ذهب، ولكن هناك حديث وكلام بأن مراكز الاقتصاد العالمي تحوّل فيما بين البشرية وبين هذه التقنية لإنتاج الذهب، لأن إنتاج الذهب بطريقة رخيصة سيؤدّي إلى إرباك البورصات والبنوك وغير ذلك. لا شأن لي بهذه الموضوعات، مُرادى هنا أن المادة فيها طبيعة الطي والنشر، وطبيعة الطي والنشر هي أيضاً واضحة في هذا العلم، في علم النانو تكنولوجي، وهكذا بقية العلوم، وليس البرنامج برنامجاً للحديث عن تطبيقات العلوم الحديثة ولكنني حاولت أن أُقرب فكرة قوانين الطي والنشر.

يمكن أن آخذ أمثلة من الكتاب الكريم:

إذا ذهبنا إلى سورة النمل، الآية الثامنة والثلاثين وما بعدها، على لسان النبي سليمان: ﴿قَالَ يَا

أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا - بعرش بلقيس - قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٥٦﴾ قَالَ عِفْرِيْتُ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٥٧﴾ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا

آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك- يعني أسرع من الضوء، نحن كيف نرى؟ ما المراد يرتد إليك طرفك؟ يعني حين تنظر إلى مكان فترى الشيء، كيف نرى الأشياء؟ نرى الأشياء أنّ صورها تنتقل إلينا بواسطة الضوء، ولأنّ الضوء سريع جداً فإننا لا نشعر بعملية انتقال الصورة هذه، عملية الرؤية هكذا تتم، ننظر إلى الشيء والصورة تنتقل بواسطة الضوء، في الظلام لا نرى شيئاً، لماذا؟ لا يوجد ضوء، حينما يوجد الضوء نرى الأشياء، فالضوء هو الذي ينقل إلينا الصور، يعني العين من دون الضوء لن تستطيع أن ترى، فالعين بحاجة إلى ضوء، والضوء هو الذي ينقل إلينا الصورة، ولأنّ الضوء سريع جداً فلا نشعر بذلك، فقبل أن تصل الصورة إلى عينك، هذا هو مراده، أي أنا آتيك به أسرع من الضوء- قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك فلما رآه مستقراً عنده قال هذا من فضل ربي ﴿ -فما جرى على يد آصف هو عملية طي للزمان والمكان، فهو قد طوى الزمان والمكان. قد تقول والعفريت؟ العفريت لا يمتلك الولاية في عملية طي الزمان والمكان، وإنما العفريت يمتلك هذا النوع من القدرة، فمثل ما أنّ الإنسان يستطيع أن يحمل مثلاً عشرين كيلوغراماً ويركض بسرعة كذا، هذا العفريت يستطيع أن يحمل عرش بلقيس وينتقل به بسرعة هائلة، لذلك ماذا قال؟ قال: ﴿ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴾، فهذا اعتماداً على قدرته وليس اعتماداً على ولاية في التصرف في الأشياء، والآية واضحة، لذلك لا يكون العفريت من الجنّ مثلاً لحديثنا، انتبهوا إلى الآية: ﴿ قَالَ عَفْرَيْتُ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴾، فهو مستند إلى قوته، وهذا العفريت يمتلك قوّة ولكن خارج هذه القوّة هو لا يمتلك شيئاً آخر، فهو يمتلك هذه القوّة وسيبذل جهده في الحفاظ على العرش ﴿ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴾، بينما آصف، آصف هو صاحب ولاية: ﴿ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾، فالعفريت ليس داخلاً هنا في قوانين الطي والنشر، إلا إذا أردنا أن نقول بأنّ بعض المخلوقات تمتلك قدرات عالية، وهذه القدرات تكون بمثابة الطي والنشر بالنسبة لمخلوقات أخرى، إذا أردنا أن نقيس قدرة هذا العفريت بقدرة الإنسان يمكن أن تكون هذه التطبيقات، ولكن هذه ليست هي قوانين الطي والنشر التي أتحدث عنها وإنما هي من آثارها، الذي قام به آصف كان عملية طي للزمان والمكان، فهو قد طوى الزمان والمكان.

ما المراد من عملية طيّ الزّمان والمكان؟

المراد من عمليّة طيّ الزّمان: هو أنّ الأحداث تجري في أقلّ من وقتها.

والمراد من طيّ المكان: هو أنّ أحداثاً تجري في مكانٍ صغيرٍ، بينما هي في الأصل لا بُدَّ أن تجري

مكانٍ كبيرٍ.

فلو أن آصف أراد أن يذهب إلى اليمن بالشّكل الاعتيادي زماناً ومكاناً فكم كان يحتاج؟ هذا إذا افترضنا أن آصف قادر على أن يحمل العرش بنفسه، كم يحتاج إلى وقت حتّى يقطع المكان، وبقطعه لهذا المكان وهذه المسافة البعيدة سيحتاج إلى زمان، ولكنّه طوى المكان والزّمان بطريقةٍ هي أسرع من الضّوء، (قبل أن يرتدّ إليك طرفك)، فهو طيّ للزّمان والمكان، وهناك حوادث كثيرة من هذا النوع..

بحيى أمير المؤمنين إلى المدائن لدفن سلمان الفارسي هو طيّ للمكان، ليس طيّاً للزّمان والمكان، كان طيّاً للمكان، فبالمقدار الذي أتمّ تجهيز سلمان رجوع، ورجع في وقت غير الوقت الذي تحرّك فيه من المدينة فكان طيّاً للمكان، لذا هذا الخليفة العباسي كان يقول لابن الأقساسي حينما خرجا إلى المدائن، كان يقول له بأنّ الغلاة يقولون: إنّ عليّاً في ليلة واحدة جاء إلى المدائن ودفن سلمان ورجع في نفس الليلة، باعتبار أنّه في المدينة، فأين المدينة من المدائن؟ فأجابه ابن الأقساسي على البديهة وقال:

أرض المدائن لَمَّا أن لها طلباً

أنكرت ليلة إذ صار الوصيُّ إلى

الأبيات جميلة..

عِراضٍ يَشْرِبُ والإصباح ما وَجَبَا

وغسّل الطُّهْرَ سلمانَ وعاد إلى

وما ذنبُ الغلاةِ إذا لم يوردوا كذباً

وقلتَ ذلك من قولِ الغلاةِ

الغلاة من أمثالي..

بعرش بلقيس وافى يخزق الحُجْبَا

فآصفٌ قبل ردِّ الطرف من سباً

بلى في حيدرٍ أنا غالٍ إنَّ ذا عَجَبَا

فأنت في آصفٍ لم تغلُّ فيه

خيرُ الوصيِّين أو كلُّ الحديثِ هَبَا

إن كان أحمدُ خيرَ النبيِّين فذا

إذا كنت تعتقد بأنَّ محمّداً خيرُ النبيّين فهذا وصيّهُ خيرُ الوصيّين، وهو يستطيع أن يفعل مثل ما فعل
أصف وصيّ سليمان وأكثر..

هناك طيٌّ للقُدرة وهناك نشرٌ للقُدرة أيضاً:

سيّد الأوصياء حين قَلعَ باب خيبر، الباب الذي كما في بعض الأخبار يُغلقه سبعون، مع أنّ الباب يُغلق بسهولة، أو في بعض الروايات سبعون ما كانوا يستطيعون أن يُقلّوه وأن يرفعوه عن الأرض، على أيّ حال، قلعَ باب خيبر وفتحَ خيبر هذا طيٌّ للقُدرة، وحينما وضع الباب على الخندق كي يعبر جيش المسلمين، الخندق كان واسعاً وعريضاً فأكمّله سيّد الأوصياء بذراعه، وعبرت الخيول على باب خيبر ويدُ الأمير تحت الباب تُكْمِلُ الجسر لخيول المسلمين، ثمّ رماه إلى مسافةٍ بعيدة جداً، وحاول المسلمون أن يُجرّكوا هذا الباب عن الأرض وما استطاعوا، هذا طيٌّ للقُدرة، وأنا لا أتحدّث هنا عن قدرة عليّ على إطلاقها أبداً، هذه مصاديق، مثل ما الأمير ذهب إلى المدائن فكان طياً للمكان، هذا مصدق، وهو مصداق جزئيّ، إنني لا أتحدّث عن عليّ بما هو عليّ، وإنما أتحدّث عن تصرّفاتٍ جزئيةٍ من تصرّفات عليّ ومن شؤونات عليّ، فأحداثُ خيبر وقلع الباب والتفصيل الأخرى هي طيٌّ للقُدرة.

وهناك نشرٌ للقُدرة: وذلك حينما يتواجد في أكثر من مكان، أليس الروايات تتحدّث عن تواجده في أربعين مكان في نفس الوقت، الرواية التي تتحدّث أنّ المسلمين جاءوا إلى المسجد في أيّام شهر رمضان يعني في مثل هذه الأيام، فقال أحدهم: لقد أظفر عليّ عندي البارحة، وقال الثّاني: أنت تكذب هو أظفر عندي، وهكذا إلى أربعين رجل، يقولون هذه من أحاديث العُلاة ولكن دعونا نتحدّث بها، إلى أربعين وصار أحدهم يُكذّب الآخر ودخل النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم وقال ما الأمر؟ فقالوا: إنّ كلّ واحدٍ من هؤلاء يقول لقد أظفر عندي عليّ البارحة، قال: ولقد أظفر عندي عليّ البارحة، والرواية تقول ونزل جبرائيل فقال وإنّ عليّاً أظفر عندنا البارحة هناك، يقولون هذا من أحاديث الغلوّ، بالنتيجة هذا مثال من الأمثلة، وهناك روايات تحدّثت عن تواجده في سبعين مكاناً، وروايات تحدّثت عن مطاردته للجموع في حُنين وكانت كلّ مجموعة تقول: بأنّ الذي كان يُطارِدُنَا هو عليّ، وهذا هو نشرٌ للقُدرة، من لا يريد أن يُصدّق بهذه الروايات هو حرّ، أنا آتي بها أمثلة تقريبية، فهناك طيٌّ للقُدرة وهناك نشرٌ للقُدرة، هناك طيٌّ للزّمان والمكان.

هناك طيٌّ للمكان..

وهناك نشرٌ للمكان:

ما المراد من نشر المكان؟ طيُّ الزّمان والمكان قد يكون واضحاً أمّا نشر المكان ما هو؟ نشر المكان، يعني مكان صغير وتجري فيه حوادث كثيرة، هذا الذي يُقال له نشر المكان، مثال على ذلك الذي جرى على بني إسرائيل في التّيه، كانوا في مكان صغير وبقوا يتردّدون فيه أربعين سنةً ويتيهون في هذا المكان، أربعون سنةً من الحوادث جرت في مكان ضيق، هذه عمليّة نشرٍ للمكان، المكان ضيق ولكن تجري فيه أحداث لمكانٍ يتجاوز آلاف الكيلومترات، مكان ربما في حدود عشر كيلومترات ولكن جرت فيه أحداث وجرى فيه من الزّمان ما يجري في مساحات تتجاوز آلاف الكيلومترات، أربعون سنةً يتيهون في هذا المكان، هذا نشر للمكان.

وهناك نشرٌ للزّمان:

لو بقي من عمر هذه الدنيا يوم واحد لطوّّل الله ذلك اليوم حتّى يخرج إمامنا، هذا نشرٌ للزّمان، هو يوم واحد ولكن ستجري فيه أحداث ربّما لملايين من السنين، دولة الحقّ التي تستمر آلاف وألاف مؤلّفة ولربّما إلى ملايين من السنين، نحن لا نعلم كم عمرها، وهذا هو نشرٌ للزّمان. فهناك نشرٌ للمكان! وهناك نشرٌ للزّمان!

- فهناك عملية طي للزمان والمكان!

- وهناك عملية طي للقدرة ونشر للقدرة!

- وهناك عملية نشر للزّمان والمكان!

والذي جرى في عاشوراء هو هذا، هو عملية نشر للزّمان والمكان..؟! وبقيت الشّمس في مستوى الزّوال، ولذلك لن تجدوا تفسيراً غير هذا التّفسير أبداً، لا يوجد تفسير آخر، إمّا أن تنكروا هذه الحقائق وهي بحسب رواية الطبري، وأنا لا أقول أنّ القضية عند هذا الرّقم الذي افترضته: ٢٨ ساعة و ٤٠ دقيقة، ولا أقول أيضاً بقول السّبعين الذي قال به الدرندي، أنا لا أدري كم هو الوقت، لكن الذي أفهمه هو أنّ الحوادث

التي جرت تحتاج إلى زمان طويلٍ طويلٍ جدًّا، ولكن الأحداث جرت وجرت واستشهد سيّد الشهداء والشّمس موجودة في السّماء. وإذا أردنا أن ندقق النّظر فيما جاء في زيارة النّاحية المقدّسة سنجد أنّ الوقت أطول بكثير من تقدير ٢٨ ساعة و ٤٠ دقيقة، وأطول بكثير من تقدير سبعين ساعة.

ما المراد من نشر الزّمان؟ هو مقطع زمني صغير ولكن تجري فيه أحداث ربّما تجري في سنوات.

ما المراد من نشر المكان؟ هو مكان صغير ولكن تجري فيه أحداث لا تجري إلّا في مساحات

واسعة جدًّا.

وهذا هو الذي جرى في كربلاء، هناك نشرٌ للزّمان ونشرٌ للمكان، مساحة المعركة محدودة ومعروفة، هذه الجموع الكثيرة، بحسب الرواية المعروفة عدد الذين حضروا سبعون ألف، وسبعون ألف ما هم بعدد قليل، مائة شخص الآن إذا ينزلون في الشّارع يملأون الشّارع فما بالك بسبعين ألف، ولنفترض أنّ نصفهم على الخيول، نصف رجّالة ونصف على الخيول، فهم يحتاجون إلى مساحة كبيرة، خصوصاً وأنّ القضية قضية حرب، كزّ وفرّ ودوران وحركة وتقدّم وانكفاء إلى الوراء، كلّ هذا يحتاج إلى مساحة واسعة جدًّا، بينما أرض المعركة معروفة، أرض المعركة محدودة ومشخّصة، صحيح أنّ القوّات الأموية ممتدّة، القيادة العسكرية التي كان يُشرف عليها ابن زياد ربّما كانت في النّخيلة وهذا مذكور في كتب المقاتل وفي كتب التّاريخ، والنّخيلة بعيدة عن كربلاء وليست قريبة، نحن لا نستطيع أن نُحدّد النخيلة بالضبط وبشكل دقيق، ولكن النخيلة الآن بالقياسات المعاصرة ربما تصل المسافة فيما بين النخيلة وفيما بين كربلاء إلى خمسين كيلومتر، يعني من الحرم الحسيني، ما بين الحرمين هو هذا مكان المعركة من هنا من هذه المنطقة إلى النخيلة قد تصل المسافة ما يقرب من خمسين كيلومتر ربّما أكثر بقليل أو أقل بقليل، لا أدري لا توجد قياسات دقيقة، وإن كان الآن توجد خرائط، لكن هذه الخرائط ليست دقيقة، هناك خرائط موجودة تُحدّد المواقع القديمة ولكن القياسات ليست دقيقة، منطقة الكفل في العراق، في الأنحاء القريبة من منقطة الكفل هي هذه التي كانت تسمّى بالنّخيلة، فيما بين كربلاء وهذه المنطقة أكثر من خمسين كيلومتر، قد تصل إلى ستين كيلومتر، وقبل الكفل هي النخيلة في هذه المناطق، ويوجد في بعض المقاتل أنّ العبّاس صلواتُ الله وسلامه عليه حين حمل على الجيش أرجعهم الخوف والرّعب إلى تلك المنطقة، إلى النّخيلة، فكم من الوقت يستغرق هذا؟ يعني الجيوش فرّت،

فَرَّت الخيول إلى مسافة ٥٠ كيلومتر فقط في حملة واحدة من حملات العباس، وقد تبعهم إلى هناك، وبعد ذلك رجع إلى المشرعة وكان عليها أربعة آلاف، هؤلاء ما فَرَّوا لأنهم كانوا بعيدين عن ساحة المعركة، والعباس لمَّا خرج لم يذهب مباشرةً إلى المشرعة، دفع الجيوش عن محيّم الحسين، بالله عليكم تصوّروا هذه الصورة، شخص واحد وأمامه هذه الأعداد الهائلة، هل هذه قضية طبيعية؟ إذاً هو قد أربعهم بطريقة غير طبيعية، هناك رعب، كيف فَرَّت هذه الآلاف المؤلفة؟ تستطيع أن تتخيّل المنظر، الآن إذا شخص واحد يركض وأمامه اثنان يفرّان منه، النَّاس تعدّها بطولة! أنت تصوّر معي، شخص واحد جرى ما جرى عليه من العَطش وخاض الحروب وجرح، كم مرّة سيّد الشهداء يبعثه لنجدة أنصاره؟ عدّة مرّات العباس دخل المعركة لنجدة أنصار الحسين، لأنّ العباس هو القوّة الضاربة في معسكر الحسين، قوات النخبة القوة الضاربة ماذا يُسمونها؟ الصاعقة، المارينز، ما هي هذه القوّة؟ القوة الجوقلة؟ ماذا تريدون أن تُسموها، فلما هجم وأراد أن يُعدهم عن خيام الحسين أوصلهم إلى النخيلة، فكم يحتاج ذلك من الوقت؟ بعد ذلك رجع إلى المشرعة والعباس حين دفعهم عن الخيام لم يكن قاصداً القتال، لأنّ سيّد الشهداء أمره أن يجلب الماء، أعطاه الإذن أن يجلب الماء، ما كان قاصداً للقتال، أراد أن يُعد هذه القوّة عن الخيام لأنّه لم يبق في الخيام إلا سيّد الشهداء، فأراد أن يُعدهم حتّى لا يُهاجموا الخيام وهو منشغل بجلب الماء، وحين أبعدهم إلى أين أوصلهم؟ أوصلهم إلى النخيلة، أيّ رعبٍ هذا الذي رأوه من العباس حتّى فَرَّت منه هذه الآلاف المؤلفة؟! سبعون ألف وحتّى لو كانوا ألفاً، أيّ رعبٍ هذا الذي رأوه من العباس ففرّت هذه الجموع على وجهها؟! كم تُعطي من الوقت للعباس فقط؟ إذاً القضية طويلة وممتدّة.

أما قصّة الحسين فتلك قصّة لا تُماثلها قصّة..!؟

الكتاب الذي بين يديّ هو الجزء الثامن والتسعون من (بحار الأنوار)، دار إحياء التراث العربي، مؤسّسة التاريخ العربي، والصفحات التي بين يديّ تنقل لنا زيارة إمامنا الحسين المعروفة بزيارة النَّاحية المقدّسة، الزيارة المروية عن إمام زماننا الحجّة ابن الحسن صلوات الله وسلامه عليه، والتي يُزار بها سيّد الشهداء في يوم عاشوراء ويمكن أن يُزار بها في بقيّة الأيام، والشيخ المجلسي يرويها هنا عن شيخنا المفيد رحمه الله عليهما،

الزّيارة هذه بحاجة إلى تحليل وإلى دراسة ولكنني أخذ لقطاتٍ منها لأجل إكمال الفكرة، ولتوضيح الموضوع، من جملة العبارات التي وردت في هذه الزّيارة مثلاً-

وَكُنْتَ لِلَّهِ طَائِعاً-وتستمرّ الزّيارة-وَلِلطُّغْيَانِ قَامِعاً-متى قَمَعَ الحُسين الطُّغْيَان؟ المعنى الأجلّي كان في عاشوراء-وَلِلطُّغْيَانِ قَامِعاً وَلِلطُّغَاةِ مُقَارِعاً وَلِلأُمَّةِ نَاصِحاً وَفِي غَمَرَاتِ المَوْتِ سَابِحاً وَلِلْفُسَاقِ مُكَافِحاً- هذه الأوصاف من يقولها؟ هذه الأوصاف يقولها صاحبُ الأمر، ويتحدّث عمّن؟ يتحدّث عن الحسين، يعني أنّ المعاني لا بُدَّ أن تُفهم في أعلى مراتبها ومع ذلك فهي دون الحقيقة، من المتكلم؟ صاحبُ الأمر، عمّن يتكلم؟ عن سيّد الأحرار، من الذي يفهم؟ شيعيٌّ محدودُ العقل محدودُ الفهم، فماذا نصنع؟ لا بُدَّ أن نُعطي المعاني أعلى ما يُمكن من المراتب، ومع ذلك يبقى الفهم قاصراً والنّائج ليست صحيحة.

فحين يقول إمام زماننا-وَلِلطُّغْيَانِ قَامِعاً-إنّه يتحدّث عن الطُّغْيَانِ بمعناه الكامل، وحين يصف الحسين بأنّه قامِعٌ للطغيان، المعنى الكامل الذي أستطيع أن أتصوّره وهو فوق ذلك، فكيف قَمَعَ الحسين الطغيان؟ لا بُدَّ أن صدر منه فعل قَمَعَ فيه هذا الطُّغْيَان الذي كان في أرض الطفوف! لأنّ الطُّغْيَانِ يَجْمَع وتبلور وصار صورةً كاملة في هؤلاء الذين حضروا في الطفوف! وأنذرهم سيّد الشهداء ونصحهم ولكن قال لهم: إذا وقع السيف فيما بيننا فنحنُ أُمَّةٌ وأنتم أُمَّةٌ، ووقع السيف وهذا هو الطغيان بكامله، فكيف قَمَعَهُ الحسين؟ أنا لا أستطيع أن أتصور المعاني، أنا أعطي لها أعلى سقفٍ وأقف، ماذا أستطيع؟! المتحدّث هو صاحب الأمر والحديث عن سيّد الشهداء والمشروع هو المشروع الأعظم في الوجود، هو المشروع العاشورائي المرتبط بالمشروع المهديّ!

وَلِلطُّغْيَانِ قَامِعاً وَلِلطُّغَاةِ مُقَارِعاً وَلِلأُمَّةِ نَاصِحاً وَفِي غَمَرَاتِ المَوْتِ سَابِحاً-يعني أنّ الموت يُحيط به من كلّ مكان، هذا الذي يسبح في غمرات الموت، الموت يحيطُ به من كلّ مكان، وما المراد من الموت الذي يسبح فيه؟ إنّهُ القتل، هذه الجموع التي جاءت لقتله فهي كالبحر المواجه، وهو يسبح في غمراتها-وَفِي غَمَرَاتِ المَوْتِ سَابِحاً-فهل هذه قُدرةٌ طبيعيّةٌ أنّ إنسان يقاتل سبعين ألف وهم يدورون حوله، أين سيوفهم؟ أين رماحهم؟ وقعت في بدنه، وهذا أيضاً طيٌّ للقدر، هنا تُطوى القدر، طيٌّ للقدر، عاشوراء كانت نشراً للزمان ونشراً للمكان وكانت طيّاً للقدر، وكانت طيّاً للألم! ربّما لا أجد وقتاً أتحدّث عن ألم

الحسين، أتركه ليوم غد، فعاشوراء كانت أيضاً طياً للألم، طويت الآلام في عاشوراء، إلى أن تستمر الزيارة فماذا تقول؟

حَتَّى إِذَا الْجَوْرُ مَدَّ بَاعَهُ وَأَسْفَرَ الظُّلْمَ فِنَاعَهُ وَدَعَا الْغِيَّ أَتْبَاعَهُ- إلى أن تقول الزيارة: -وَلَزِمَكَ أَنْ تُجَاهِدَ الْفُجَّارَ- هؤلاء الفُجَّار، إلى أن تقول الزيارة: -فَجَاهَدْتُهُمْ بَعْدَ الْإِعَازِ لَهُمْ وَتَأَكِيدُ الْحُجَّةَ عَلَيْهِمْ فَانْكَبُوا ذِمَامَكَ وَبِيعَتِكَ وَأَسْخَطُوا رَبَّكَ وَجَدَّكَ وَبَدَأُوكَ بِالْحَرْبِ فَثَبَّتَ لِلطَّعْنِ وَالضَّرْبِ- حين تقول الزيارة هكذا: -فَثَبَّتَ لِلطَّعْنِ وَالضَّرْبِ- يعني الإمام كم ثَبَّت؟ عشرة دقائق؟ ساعة؟ هذا الثبات الذي في مقابل سبعين ألف كم سيكون؟ ساعة؟ نصف ساعة؟ ساعتان؟ حين تُريد أن تقف في مواجهة سبعين ألف، كم تحتاج من الوقت؟ والتعبير هو تعبير الإمام المعصوم: فَثَبَّتَ لِلطَّعْنِ وَالضَّرْبِ...!! يعني ثبت لظعن شخص أو شخصين؟ الإمام يتحدث عن سبعين ألف، عن أربعين ألف، عن عشرين ألف، عن عشرة آلاف، عشرة آلاف في مواجهة شخص واحد وهذا الشخص يُوصف بهذه الصفة ما قتلوه: فَثَبَّتَ لِلطَّعْنِ وَالضَّرْبِ...!! وهم يقصدونه كم يحتاج من الوقت حتى يثبت للظعن والضرب كم يحتاج؟ أنتم احسبوها؟ احسبوها بنفس طريقة أبو الدجاج بنفس الطريقة احسبوها، بنفس طريقة الدجاج احسبوها، عشرة آلاف الجيش سبعون ألف، لنفترض عشرة آلاف، الإمام الحجة يصف الحسين: فَثَبَّتَ لِلطَّعْنِ وَالضَّرْبِ...!! هذا الوصف وصف حقيقي، ومن الواقف بثبات؟ إنه الحسين! يعني هو في أعلى المعاني من الثبات، فكم يحتاج هذا من الوقت؟ احسبوها أنتم.

فَثَبَّتَ لِلطَّعْنِ وَالضَّرْبِ- ثم ماذا يقول الإمام؟: -وَطَحْنَتَ جُنُودَ الْفُجَّارِ- طحنهم طحناً، هذا التعبير كيف أستطيع أن أتصوره؟ يعني قتل منهم عشرة؟ عشرين؟ الإمام يقول: وَطَحْنَتَ جُنُودَ الْفُجَّارِ! أتعرف ما معنى الطحن؟ أصل المعنى مأخوذ من الرّحى، لنفترض أدون المعاني الرّحى، وإلا الآن مكائن ومعامل الطّحن تطحن بقوة هائلة جداً، عملية الطّحن ما هي؟ الرّحى تتألف من حجرين وقطب موجود في وسطها ومقبض لتحريكها ويؤتى بحبّ الحنطة، حبّ الحنطة تعرفونه، يؤتى فيوضع في ثقب الرّحى فتدور الرّحى فتطحنه فتحوّله إلى طحين، إلى شيء جديد يختلف في شكله ومظهره وحتى في طعمه وفي رائحته عن حبوب الحنطة، يتحوّل إلى طحين، هذا هو الطحن، الإمام هنا يخاطب الحسين فيقول: وَطَحْنَتَ جُنُودَ الْفُجَّارِ...؟! أبو

عليّ طحنهم طحناً، هؤلاء سبعون ألف، كيف طحنهم؟ مرّة يكون في وسطهم فيطحنهم من أوساطهم، ومرّة يدور حولهم، كم يحتاج من الوقت أن يدور حول سبعين ألف؟ وأيّة قدرة كانت يدخل في وسطهم وحوله سبعون ألف؟ بالله عليكم الآن شخص إذا يتفق اثنان على ضربه وبالأيدي وهذا يصفعه يميناً والآخر يصفعه شمالاً، هل يستطيع أن يعرف من أين تأتيه الضربة؟ تصوّروا معي هذه الصّورة لا أستطيع أن أتخيّلها؟! لو كانت جيوش تُحارب جيوش هذا موجود في تاريخ العالم، خمسون في مقابل مئة موجود في التاريخ وأكثر من ذلك موجود، ربّما مئة في مقابل ألف موجود هذا في التاريخ، لكن واحد في مقابل سبعين ألف، والإمام يقول طحنهم وأنا هنا لا أتحدّث عن الحسين في وجهه الربوبيّ، الحسين في وجهه الربوبي هو شيء آخر، لا تصل إليه السيوف لا تستطيع السيوف أن تصل إلى الحسين في وجهه الربوبيّ، أنا أتحدّث عن الحسين في وجهه البشري، إمامي الذي أحاطبه وأزوره، أتحدّث عن الحسين الذي يُقبّله رسول الله ويكي ويقول: أُقبّل مواضع السيوف منك وأبكي، إنني أتحدّث عن حسيني هذا الذي أعرفه، الذي أعرفه أنّه الحسين لا الذي أعرفه حقّ المعرفة، إنني لا أعرفه حقّ المعرفة، لكنني أعرف أنّ هذا هو حسينا، أتحدّث عن هذا.

وَطَحْنَتَ جُنُودِ الْفُجَّارِ - المثل البشري الأعلى هو الحسين، الحسين هو مُحَمَّد، مُحَمَّد هو الذي طحن جنود الفجار، مُحَمَّد كان يُقبّل مُحَمَّدًا، يُقبّل مواضع السيوف من مُحَمَّدٍ ويكي: (حُسَيْنٌ مِنِّي وَأَنَا مِنْ حُسَيْنٍ)، وهناك تجلّ آخر لهذا الحديث: (أَنَا مِنْ حُسَيْنٍ وَحُسَيْنٌ مِنِّي)!!..

الحديث المشهور: (حُسَيْنٌ مِنِّي وَأَنَا مِنْ حُسَيْنٍ)، ولكن هناك تجلّ آخر، كلمة النبي الأعظم: (حُسَيْنٌ مِنِّي وَأَنَا مِنْ حُسَيْنٍ) تتحدّث عن تجلّ معيّن، وتتحدّث كلمته الأخرى عن تجلّ آخر: (أَنَا مِنْ حُسَيْنٍ وَحُسَيْنٌ مِنِّي)!!.. المضمون هو هو في حديث الكساء الشريف: (وَقَالَ اللَّهُمَّ إِنَّ هَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي وَخَاصَّتِي وَحَامَّتِي لَحْمُهُمْ لَحْمِي وَدَمُهُمْ دَمِي)، هذا لحم مُحَمَّد! هذا الذي جالت عليه الخيول هو لحم مُحَمَّد! وهذا الدّم الذي صبغ الرّمال هو دم مُحَمَّد: (لَحْمُهُمْ لَحْمِي وَدَمُهُمْ دَمِي يُؤَلِّمُنِي مَا يُؤَلِّمُهُمْ)! آلام حُسَيْنٍ هي آلام مُحَمَّد: (أُقبّل مواضع السيوف منك وأبكي يا حُسَيْنٍ)!!..

فَشَبَّتْ لِلطَّغْنِ وَالضَّرْبِ - يقول صاحب الأمر قائم آل مُحَمَّد: -وَطَحْنَتَ جُنُودِ الْفُجَّارِ- طحنت جنود الفجار، طحنهم ولم يُبق لهم أثراً، هناك منطقة قريبة من كربلاء، إذا ما دخلتم كربلاء من جهة طويريج

هناك منطقة يعرفها الكربلائيون، خصوصاً القدماء كبار السن، يقولون هذه مقبرة جيش الأمويين هنا دُفِنُوا، هذه المنطقة إلى اليوم إذا مررتم يجنبها هناك رائحة كريهة تنبعث منها إلى اليوم، رغم أنّ أطرافها بُنيت ولكن إلى اليوم تنبعث منها رائحة كريهة، وجربوا سلوا الكربلايين القدماء سيدلّونكم عليها وهي المنطقة التي هكذا يقولون بأنّ الجيش الأموي دفن جثته هنا، والحقيقة أنّ الجيش الأموي لم يدفن جثته لأنّ الجثث كانت كثيرة جداً وفُرمت، الحسين فرمها وطحنها، ولمّا أرسل ابن زياد رسالة إلى ابن سعد أنّ أترك الحسين وأصحابه على الأرض من دون دفن وادفن أصحابك، فأرسل ابن سعد إليه رسالة يقول: القوم أكثر من أن يُدفنوا، أعداد كثيرة، هذه عشرات الآلاف فكيف تُدفن؟ فأجابه ابن زياد، قال: ادفن سراً القوم، أي الشخصيات القادة، وبقيت هذه الجثث وتفسّخت وانتهت، أنا ما عندي مستند تاريخي كما أنّ الكربلايين ما عندهم مستند تاريخي، الكربلائيون حين يقولون هذه الأرض هي مقبرة الأمويين فلا يوجد مستند تاريخي واضح يفيد بذلك، وأنا أيضاً لا أملك مستنداً تاريخياً، أنا أقول: هذه مطحنة الحسين هنا طحنهم، هنا طحنهم وما أبقى لهم من أثر، فرمهم فرماً في هذا المكان، ليس بالضرورة بيده ولكن الخيول كانت تقع على الخيول والرّجال على الرّجال، والرعب الذي دخلهم، ففرموا هنا في هذا المكان، وهذه رائحتهم الكريهة باقية هنا في هذا المكان.

أين هي مطحنة الحسين؟ مطحنة الحسين العباس هيّاها له حين أبعدهم، وأرجعهم إلى الورا، أبعدهم عن الخيام فالذي هيّا مكان المطحنة هو العباس الذي أبعدهم وبعد ذلك الحسين طحنهم، وإلا أنا كيف أفهم كلام الإمام الحجّة: **وَطَحْنَتَ جُنُودَ الْفُجَارِ؟!** تعالوا فهمني هذه العبارة؟!

وتستمر الزيارة -وَأَقْتَحَمَتَ قَسَطَلَ الْغُبَارِ- القسطل هو الغبار الكثيف الذي يثار في وسط المعركة بسبب الدّوران، تدور الخيول وإلا لو فرّوا فهذا هو الغبار، ولكن حين يُديرهم حين يُغلق عليهم منافذ الفرار، كيف يُغلق عليهم منافذ الفرار؟ الخيول يدخّل بعضها في البعض لا تستطيع أن تفرّ من الرعب، فلا يفرّون، يظلّون يدورون في دائرة وفي مطحنة، يطحن بعضهم بعضاً، هذه هي مطحنة أبي السّجاد: -وَطَحْنَتَ جُنُودَ الْفُجَارِ وَأَقْتَحَمَتَ قَسَطَلَ الْغُبَارِ مُجَالِدًا بِذِي الْفَقَارِ كَأَنَّكَ عَلِيٌّ الْمُخْتَارِ- نعم عليّ المختار.

إمامنا السّجّاد حين خَطَبَ في قَصْرِ يزيد ووصل في حديثه إلى أمير المؤمنين ماذا قال؟ قال- سَمِعُ سَخِيَّ بَهِيَّ بُهْلُولُ زَكِيِّ أَبْطَحِيَّ رَضِيَّ ذَاكَ هُوَ عَلِيٌّ مِقْدَامٌ هُمَامٌ صَابِرٌ صَوَامٌ مُهَدَّبٌ قَوَامٌ قَاطِعُ الْأَصْلَابِ وَمُفَرَّقُ الْأَحْزَابِ أَرْبَطَهُمْ عِنَانًا وَأَثْبَتَهُمْ جِنَانًا وَأَمْضَاهُمْ عَزِيمَةً وَأَشَدَّهُمْ شَكِيمَةً أَسَدٌ بَاسِلٌ يَطْحَنُهُمْ فِي الْحُرُوبِ- هي هي نفس العبارات ويأتي من يقول بأنّ هذه الخطبة ضعيفة، قطعاً بحسب قدارات علم الرجال التي يتمسك بها علماءنا ومراجعنا، وكذلك هي زيارة الناحية هي ضعيفة السند بحسب قدارات ونجاسات علم الرجال والأصول:- أَسَدٌ بَاسِلٌ يَطْحَنُهُمْ فِي الْحُرُوبِ إِذَا أَرْدَلَفَتِ الْأَسِنَّةَ وَقَرُبَتِ الْأَعِنَّةَ- نفس الصورة التي أشرت إليها- إِذَا أَرْدَلَفَتِ الْأَسِنَّةَ- اقتربت، وتعارضت فيما بينها- وَقَرُبَتِ الْأَعِنَّةَ- أَعِنَّةُ الْخِيُولِ- يَطْحَنُهُمْ فِي الْحُرُوبِ إِذَا أَرْدَلَفَتِ الْأَسِنَّةَ وَقَرُبَتِ الْأَعِنَّةَ طَحْنَ الرَّحَى وَيَذَرُوهُمْ فِيهَا ذَرَوُ الرِّيحِ الْهَشِيمِ- لا يُبْقِي لَهْمَ أَثْرًا، من هو هذا؟:- لَيْثُ الْحِجَازِ وَكَبِشُ الْعِرَاقِ مَكِّيٌّ مَدَنِيٌّ خَيْفِيٌّ عَقَبِيٌّ بَدْرِيٌّ أَحَدِيٌّ شَجْرِيٌّ مُهَاجِرِيٌّ- مَنْ هُوَ؟:- مِنْ الْعَرَبِ سَيِّدُهَا وَمِنَ الْوَعَى لَيْثُهَا وَارِثُ الْمَشْعَرِينَ وَأَبُو السَّبْطَيْنِ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ- إمامنا السّجّاد يقول:- ذَاكَ جَدِّي عَلِيُّ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ أَسَدٌ بَاسِلٌ يَطْحَنُهُمْ فِي الْحُرُوبِ- اربطوا بين هذا المعنى وبين ما جاء في زيارة الناحية..؟!:- يَطْحَنُهُمْ فِي الْحُرُوبِ إِذَا أَرْدَلَفَتِ الْأَسِنَّةَ وَقَرُبَتِ الْأَعِنَّةَ طَحْنَ الرَّحَى وَيَذَرُوهُمْ فِيهَا ذَرَوُ الرِّيحِ الْهَشِيمِ- يذروهم فيها ذرو الريح الهشيم، ما المراد من الهشيم؟ الهشيم في اللّغة له معنيان: الهشيم إمّا يُطْلَقُ عَلَى التَّبْنِ وَبَقَايَا الزَّرْعِ حِينَمَا يَحْصَدُ الْحَقْلَ، وتأتي الرّيح فتذروه في كلّ مكان، أو المراد من الهشيم بقايا ما يُحْرَقُ وَهُوَ الرَّمَادُ، حريق وبقية الرّماد وجاءت الرّيح، فإنّ الرّيح تذرو الرّماد لأنّه خفيف، مسحوق خفيف، تذروه في كلّ مكان، هذا الذي قلته بأنّ الحسين فعل فيهم هكذا، والإمام السّجّاد هنا حين يتحدّث عن عليّ فهو يعرف بأنّ زيارة النّاحية ستأتي من الإمام الحجّة، وكلامهم يشرح بعضه بعضاً.

فَثَبَتَ لِلطَّعْنِ وَالضَّرْبِ- يا أبا السّجّاد:- وَطَحْنَتَ جُنُودَ الْفُجَّارِ وَأَقْتَحَمَتَ قَسَطَلَ الْعُبَارِ مُجَالِدًا بِذِي الْفَقَّارِ- هذا بعد الطّحن، طحنهم، وهذه أوصاف من الإمام الحجّة لسيد الشهداء، أنا لا أستطيع أن أتصوّرها مثلاً في فارس مثل عنتره العبسي أو في فارس مثل أبي زيد الهلالي، مثل ما يُذَكَرُ فِي الرِّوَايَاتِ وَفِي الْحِكَايَاتِ وَفِي السِّيْنَمَا وَفِي التَّمْثِيلِ، أنا أتحدّث هنا عن حُسينٍ وَالمُتَحَدِّثُ هُوَ قَائِمُ آلِ مُحَمَّدٍ صَلَوَاتُ اللَّهِ

عليهم: -فَثَبَّتْ لِلطَّعْنِ وَالضَّرْبِ- هذا الثبات في مقابل سبعين ألف، كم هو الوقت؟ وهؤلاء كلهم يوجّهون طعنهم وضرهم للحسين -فَثَبَّتْ لِلطَّعْنِ وَالضَّرْبِ- ولذلك ماذا يقول الإمام؟ إمامنا الباقر ماذا يقول؟

يقول -وَلَقَدْ قُتِلَ بِالسَّيْفِ وَالسِّنَانِ وَبِالْحِجَارَةِ وَبِالْخَشْبِ وَبِالْعَصَا- حاروا مع الحسين ماذا يفعلون له؟ جبل ويزحف فحاروا بالحسين، ماذا يفعلون بالحسين؟! وأنا أتحدّث عن المثال البشري، جبل ويزحف لذلك لجأوا لهذه الأساليب، الإمام يقول: -وَلَقَدْ قُتِلَ بِالسَّيْفِ وَالسِّنَانِ وَبِالْحِجَارَةِ وَبِالْخَشْبِ وَبِالْعَصَا- لقد جُنّوا، أصابهم الجنون، الآن إذا شخص اعتدى عليه شخص وهو أقوى منه وما يملك، سيحاول أن يضربه بكلّ شيء حتّى بالورق، حتّى هذا الكلينكس يحاول أن يُخرج هذه المناديل الورقية ويضربه بها كي يتخلّص منه، جبل وزحف عليهم وطحنهم طحناً.

وَطَحْنَتِ جُنُودَ الْفُجَّارِ وَأَقْتَحَمَتِ قَسْطَلَ الْغُبَارِ- قد يقول قائل هنا وبهذا المنطق الترابي السخيف، هو سخيف حين نتحدّث عن حسين وإلا فالمنطق الترابي هو المنطق الذي نعيش به ونحتكم إليه، ولكن مع مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ هذا المنطق الترابي يكون سخيفاً، هذا يكون مع أمثالنا الذين يخاطبهم الإمام العسكري: (أَوْلَا آلَ مُحَمَّدٍ لَكُنْتُمْ كَالْبَهَائِمِ)، من أمثالنا، مثلي ومثلكم، هذا كلام الإمام العسكري صلوات الله وسلامه عليه لا بُدَّ أن يبقى مرسوماً أمام أعيننا، قد يقول قائل: إذاً لماذا لم يقض عليهم الحسين؟ الحسين ما كان من نيته أن يقضي عليهم، الحسين فعل ذلك بهم كي يستخرج إجرامهم، لأنّ الإمام صلوات الله وسلامه عليه كان عالماً بأنّ الواقع البشري ليس مهياً وحتّى واقع المسلمين ليس مهياً، من بعد السَّقِيفَةَ بل من بعد الصَّحِيفَةَ، من بعد السَّقِيفَةَ تغيّرت الأمور وانكفأت إلى الوراء، مثل ما هو موجود في كتب المخالفين الصحابة، في صحيح البخاري وفي صحيح مسلم يُطرَدُونَ عن الحوض والنبي يقول أصحابي أصحابي، يقولون لقد غيّرنا من بعدك ورجعوا القهقري، الأمة رجعت القهقري، فلذلك هناك استراتيجية جديدة، سيناريو الغدير غدرت به الأمة والآن حان سيناريو الثريان! وسيناريو الثريان لا بُدَّ أن يُرسم بريشة المظلومية، وبتريخ المظلومية، لذا سيّد الشهداء حينما نجده يحمل الرضيع فماذا يُريد؟ يريد أن يستخرج إجرامهم، يريد أن يستخرج الإجرام ويرسم المظلومية، وإلا فهل سيّد الشهداء ما كان يعلم بأنهم سيدبحون الرضيع؟ هذه القضية يعرفها أيُّ أحد، لا تحتاج إلى ذكاء ولا إلى علم، هؤلاء المجرمون الأنجاس يعني ماذا سيفعلون مع

الرَضِيْع؟ سيدجونه، هذا هو المنطق الغيبي، والمنطق الثرابي شيء آخر، سيّد الشهداء فعل ذلك كي يستخرج إجرامهم.

وَطَحَنَتْ جُنُودَ الْفُجَارِ وَأَفْتَحَمَتْ قَسْطَلَ الْغُبَارِ مُجَالِدًا بِذِي الْفَقَارِ كَأَنَّكَ عَلِيٌّ الْمُخْتَارَ فَلَمَّا رَأَوْكَ ثَابِتَ الْجَاشِ-الْجَاشُ يَعْنِي النَّفْسَ وَالْقُوَّةَ-فَلَمَّا رَأَوْكَ ثَابِتَ الْجَاشِ غَيْرَ خَائِفٍ وَلَا خَاشٍ نَصَبُوا لَكَ غَوَائِلَ مَكْرِهِمْ وَقَاتَلُوكَ بِكَيْدِهِمْ وَشَرَّهِمْ-لا ندرى ماذا فعلوا هنا؟! التاريخ لم يذكر لنا، وكتب المقاتل ما ذكرت لنا، والرّيازة أجملت في الكلام:- نَصَبُوا لَكَ غَوَائِلَ مَكْرِهِمْ-ماذا فعلوا؟ لا ندرى-وقَاتَلُوكَ بِكَيْدِهِمْ وَشَرَّهِمْ-ليس بالقُوَّة والأسلحة فهو قد طحنهم طحنًا، هذه مرحلة نحن لا نعرفها من عاشوراء ومن كربلاء، ماذا نعرف نحن من عاشوراء؟ ماذا تعرفون أنتم؟ أنتم الذين تعتبرون أنفسكم حسيّين، شعراء، رواديد، خطباء، ماذا تعرفون؟ والله لا تعرفون شيئاً..؟! لأنكم تنظرون إلى هذه الرّيازة بعين التشكيك بسبب أنّ المراجع يعتبرونها ضعيفة السّند، وتركضون إلى كتب المخالفين وتعتمدون على ما جاء فيها.

هذا المقطع أنا لا أعرف عنه شيئاً: فَلَمَّا رَأَوْكَ ثَابِتَ الْجَاشِ غَيْرَ خَائِفٍ وَلَا خَاشٍ نَصَبُوا لَكَ غَوَائِلَ مَكْرِهِمْ وَقَاتَلُوكَ بِكَيْدِهِمْ وَشَرَّهِمْ، وَأَمَرَ اللَّعِينُ جُنُودَهُ فَمَنَعُواكَ الْمَاءَ وَوَرُودَهُ-يبدو أنّ الإمام لم يُبقِ منهم أحداً والماء كان مفتوحاً أمامه، وهذه الأحداث ما ذكرتها لنا كتب المقاتل، ماذا نعرف عن كربلاء؟ لا نعرف شيئاً:- نَصَبُوا لَكَ غَوَائِلَ مَكْرِهِمْ وَقَاتَلُوكَ بِكَيْدِهِمْ وَشَرَّهِمْ-الآن في هذه المرحلة لم يكن الماء ممنوعاً عن الحسين، ولكن بقي الحسين عطشاناً، لماذا؟ تلك أسرار لا نعرف معناها!!

إذاً هل مستغرب أن يقول الإمام الباقر، صحيح هذه الرّواية أنا لا أعرف لها مصدراً، ولكن ليس بالضرورة أن تكون الرّوايات موجودة في الكتب، أساساً الرّوايات ليست في الكتب ينقلها الرواة، رواية يعني حديث وليس كتابة، حين يقول باقر العلوم-(لَوْلَا أَنْ نَخَافُ عَلَى شِيَعَتِنَا الْمَوْتَ-نَخَافُ عَلَيْهِمْ مِنْ الْمَوْتِ-لِحَدِيثِهِمْ بِمَا جَرَى فِي كَرْبَلَاءِ)، لروينا لهم، لذكرنا لهم ما جرى في كربلاء، ولكننا نخاف على شيعتنا من الموت، وهنا أسئلة وتساؤلات طويلة وعريضة!! فإذاً هذا التقدير ٢٨ ساعة و ٤٠ دقيقة؟ وأيضاً تقدير الدربندي سبعون ساعة ما هو بشيء والقضية أكبر من ذلك، إنّها عملية نشر للزمان.

وقت البرنامج يجري سريعاً، أُحدّثكم إن شاء الله، بقيّة الحديث يوم غد، لكن لنكمل النص، يعني هذه بعد عملية الثبات للطعن والضرب: -فَثَبْتُ لِلطَّعْنِ وَالضَّرْبِ- أبو علي- وَطَحَنْتَ جُنُودَ الْفُجَّارِ- عملية الثبات للطعن والضرب كم تحتاج من الوقت؟ نحن نتحدّث هنا عن الحسين لوحده، فقط الحسين، الحسين، والحسين فقط: -فَثَبْتُ لِلطَّعْنِ وَالضَّرْبِ- كم هو الوقت أن يثبت أبو علي أمام هذه الألوفا وهي تطعن وتضرب؟ الإمام يقول ولست أنا- فَثَبْتُ لِلطَّعْنِ وَالضَّرْبِ- يعني هجموا عليه خمسين من الأعداء والإمام يتحدّث بهذه اللغة؟!!

لأنّ العبارات السابقة ماذا قالت؟: وَلَزِمَكَ أَنْ تُجَاهِدَ الْفُجَّارَ- جميعاً- فَجَاهَدْتَهُمْ- وتستمرّ العبارات- وَبَدَأُوكَ بِالْحَرْبِ فَثَبَّتَ لِلطَّعْنِ وَالضَّرْبِ- للجميع، والعبارات السابقة- فَنَكَّثُوا ذِمَامَكَ وَبَيَعْتِكَ- الجميع نكثوا الذمام والبيعة- وَبَدَأُوكَ بِالْحَرْبِ فَثَبَّتَ لِلطَّعْنِ وَالضَّرْبِ وَطَحَنْتَ جُنُودَ الْفُجَّارِ- هذه عملية الطحن كم احتاجت من الوقت إلى أن طحنهم طحناً وذراهم؟ كما مرّ في كلام إمامنا السّجاد وهو يقول:- كَأَنَّكَ عَلِيٌّ الْمُخْتَارُ- عليّ المختار هكذا وصفه الإمام السّجاد بأنّه يطحنهم طحن الرّحى ويذروهم ذرو الريح المشيم ولا يبقى لهم من باقية، أجزاء أجزاء يُفْتَتُونَ وينتهون، لذا بقيت رائحتهم الكريهة هناك.

وَطَحَنْتَ جُنُودَ الْفُجَّارِ وَأَقْتَحَمْتَ قَسْطَلَ الْغُبَارِ مُجَالِدًا بِذِي الْفَقَّارِ- مجالد، مجالدة، والإمام جاء بهذا التعبير بذي الفقار هذا السيف الإلهي، حسينٌ يجالِدُ بذي الفقار، هذه الصورة كم سعتها؟ وكم مداها؟ المجالدة لا تُقال لأيّ أحد، المجالدة تقال لأفرس الفرسان، وتقال لأبطال الأبطال، لأنّ المجالدة تحتاج إلى وقتٍ طويل، وفارسٌ كالحسين كم هو وقتٌ مجالدته حتّى يقول عنه صاحب الأمر بأنّه مجالِدٌ؟ المجالدة هو الفارس الذي يبقى مُدَّةً طويلة يُقاتل، وكلُّ بحسبه، فبحسب الحسين كم هو وقتٌ المجالدة؟!!

والله هذا الشّعْر سخرية! وحقّ حسينٍ هذا سخرية! هذه القصيدة رغم أنّي أحبّها كثيراً وأستشهد بها دائماً في مجالسي وأحاديثي ولكنّها والله مهزلة إذا ما قسّتها بالموجود في زيارة النّاحية، مهزلة هذه القصيدة الميمية، ميمية سيّد جعفر:

حتّى إذا اشتبك النّزال وصرّحت
صيد الرّجال بما تجنّ وتكتم
وقع العذاب على جيوش أُمّة
من باسل هو في الوقائع معلّم

مُعَلِّم، أَي بِيَدِهِ الْعَلَمُ..

ما راعهم إلا تقحُّم ضيغم
قَلْبَ اليمِينِ عَلَى الشَّمَالِ وَغَاصَ
مَا كَرَّ ذُو بَأْسٍ لَهُ مُتَقَدِّمًا
صَبَغَ الخِيُولَ بِرَمَحِهِ حَتَّى غَدَا
مَا شَدَّ غَضَبَانًا عَلَى مَلْمُومَةٍ
الملمومة، هي مجموعة من الجيش..

يَلْقَى السِّلَاحَ بِشِدَّةٍ مِنْ بَأْسِهِ
عَرَفَ المَوَاعِظَ لَا تَفِيدُ بِمَعَشِرٍ
فَانصَاعَ يَخْطُبُ فِي الجَمَاجِمِ وَالكَلَا
هذه تكون مهزلة أمام هذه الزيارة الشريفة، مهزلة هذه المعاني!؟!

فَلَمَّا رَأَوْكَ ثَابِتَ الجَاشَ غَيْرَ خَائِفٍ وَلَا خَاشٍ نَصَبُوا لَكَ غَوَائِلَ مَكْرِهِمْ-ويا ليتني أعرف معنى
هذا الكلام-وقَاتَلُوكَ بِكَيْدِهِمْ وَشَرِّهِمْ-لا ندري ما الذي جرى-وأَمَرَ اللِّعِينَ جُنُودَهُ فَمَنَعُوكَ المَاءَ
وَوُرُودَهُ-القضية إنقلبت هنا، لا يكفي الوقت لشرحها، يوم غدٍ أشرحها-وَنَاجَزُوكَ القِتَالَ-وبدأت القضية
مرّة ثانية-وَنَاجَزُوكَ القِتَالَ وَعَاجَلُوكَ النِّزَالَ وَرَشَقُوكَ بِالسَّهَامِ وَالنَّبَالَ وَبَسَطُوا إِلَيْكَ أَكْفَ الإِصْطِلَامِ-إلى
أن تقول الزيارة، وهذا كله جرى بعد قتل أصحابه وأهل بيته، هذا التجدد والتبدل والتغيير الزيارة هكذا
تقول:-وَبَسَطُوا إِلَيْكَ أَكْفَ الإِصْطِلَامِ وَلَمْ يَرْعُوا لَكَ ذِمَامًا وَلَا رَاقِبُوا فِيكَ آثَامًا فِي قَتْلِهِمْ أَوْلِيَاءَكَ
وَنَهَيْهِمْ رِحَالَكَ-وقد نهبوا الرِّحَالَ والحُسَيْنَ موجود، فما الذي جرى؟-وَأَنْتَ مُقَدِّمٌ فِي الهَبَوَاتِ وَمُحْتَمِلٌ
لِللَّذِيَّاتِ قَدْ عَجَبْتَ مِنْ صَبْرِكَ مَلَائِكَةُ السَّمَاوَاتِ-ملائكة السَّمَاوَاتِ قد رأت الحروب ورأت المصائب
وهي تعرف الحسين ومن هو الحسين فكيف تتعجب من صبره؟ فأئني صبري كان في عاشوراء؟ هل هو هذا
الصبر الذي يتحدث عنه هؤلاء الخطباء البائسون؟ هل هذا هو الصبر!! أو الشعراء أو الروايد هؤلاء الجهال
الذين لا يعرفون حقائق الأمور؟! وأنا من ضمنهم، أنا لا أخرج نفسي فأنا واحد منهم، هذا الصبر الذي

عَجِبْتُ مِنْهُ مَلَائِكَةُ السَّمَاوَاتِ أَيُّ صَبْرٍ هَذَا يَا حُسَيْنَ؟! يَا حُسَيْنَ، هُنَا تَعْرِفُ مَعْنَى (كَهَيْعَص)، الَّتِي أَبْكَتِ الْأَنْبِيَاءَ، صَادَ صَبْرَ الْحُسَيْنِ، هُنَا تَعْرِفُ مَعْنَاهَا، لَا تَسْمَعُ لِهَوْلَاءِ الْجَهَّالِ الَّذِينَ يَهْزَأُونَ بِحَدِيثِ صَاحِبِ الْأَمْرِ، وَيَقُولُونَ صَادَ صَفْصَطَائِي، لَا تَسْمِعِ لِهَوْلَاءِ الْجَهَّالِ، صَادَ هِيَ صَبْرَ الْحُسَيْنِ: -قَدْ عَجَبْتُ مِنْ صَبْرِكَ مَلَائِكَةُ السَّمَاوَاتِ- يَا حُسَيْنَ.

يسيرُ الوريُّ بركابِ الزمانِ	من مُستقيمٍ ومن أضلِّعِ
وأنت أنت يا أبا السَّجَادِ تُسَيِّرُ رَكْبَ	الزمانِ مَا تَسْتَجِدُّ لَهُ يَتْبَعِ
فيا أيُّهَا الوترِ فِي الخالدينِ	فدًّا إِلَى الآنِ لَمْ يُشْفَعِ
يا حسين... .	

وقت البرنامج انتهى، بقية الحديث تأتينا يوم غدٍ إن شاء الله تعالى، لقاءنا يتجدد مع الحسين، ودائماً سنبقى مع الحسين، نحن هكذا نخطبه ونخطبه في كلِّ حال: (عَبْدُكَ وَابْنُ عَبْدِكَ، يَا أبا السَّجَادِ، وَابْنُ أُمَّتِكَ، عَبْدُكَ وَابْنُ عَيْدِكَ وَابْنُ إِمَائِكَ الْمُقَرَّرُ بِالرِّقِّ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْكَ وَالتَّارِكُ لِلْخِلَافِ عَلَيْكُمْ، يَا حُسَيْنَ).

أترككم فِي رِعَايَةِ الْقَمَرِ..

يَا كَاشِفَ الْكَرْبِ عَنِ وَجْهِ أَخِيكَ الْحُسَيْنِ إِكْشِفِ الْكَرْبَ عَن وُجُوهِنَا وَوُجُوهِ مُشَاهِدِينَا وَمُتَابِعِينَا عَلَيَّ
الْإِنْتَرْنِتِ بِحَقِّ أَخِيكَ الْحُسَيْنِ..
أَسْأَلُكُمْ الدُّعَاءَ جَمِيعاً.. فِي أَمَانِ اللَّهِ.

* ملف الكتاب والعترة - الجزء الثالث: الكتاب الناطق، متوفر بالفيديو والأوديو على موقع زهرايون

www.zahraun.com